الشعوبية
في مناهج الحوزة الدينية وأدبيات القيادة الإيرانية
صباح الموسوي

الإهداء:

إلى الخلفاء الراشدين

عمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم اجمعين

ضحايا اغتيالات الشعوبية

مقدمة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله

في ظل الحرب المستعرة التي تشن على الإسلام والعروبة من كل حدب وصوب، تبقى الحاجة ماسة للتعرف على (الطابور الخامس)، الذي يشكل القوى الناعمة التي تضرب- منذ عدة قرون- بعمق في جدار البناء الإسلامي والعربي، هذا الجدار الذي استطاع عبر القرون الماضية- ورغم قوة الضربات التي وجهت له- من أن يصمد أمام العدوان الخارجي والتآمر الداخلي، مواصلًا حمل رسالته الحضارية إلى العالم.

لقد شكلت الحركة الشعوبية- وما زالت تشكل- العدو الداخلي الأول الطاعن في جسد الأمة الإسلامية، وما زال هذا العدو مستمرًّا بتآمره عبر اتخاذه مسميات وأدوات وأشكالا مختلفة؛ لتحقيق أهدافه في محاربة الإسلام، والانتقام من العرب الذين كانوا حملة راية الإسلام، وجنود الفتح الإسلامي الذي أزال الإمبراطورية الفارسية، وأطفأ نيران المجوسية.

فمنذ سقوط الإمبراطورية الفارسية (23هـ): والحركة الشعوبية تواصل حربها ضد الأمة عبر طرق وأفكار ووسائل شتى، مستغلة حالات التحول التي طرأت على أحوال الأمة، ساعية- بكل ما أوتيت من مكر وخبث- لتحقيق غايتها عبر نشر عقائدها الفاسدة، مستغلة تارة النفوذ الذي حصل لها في جسم السلطة السياسية للدولة الإسلامية، وتارة اخرى

مستندة على التحالفات العدوانية مع القوى التتارية، والصليبية، والصهيونية.

أما في عصرنا الحاضر: فقد اعتمدت على سلطة المال، والإعلام، واستغلال الدعاية السياسية، وترويج الثقافة الطائفية؛ لضرب الدول والمجتمعات العربية والإسلامية.

كما أنها ركنت قديمًا إلى أسلوب الاغتيالات، والثورات، والحروب الطائفية والعنصرية، والتي كان من بينها الاغتيالات التي استهدفت الخلفاء الراشدين: عمر، وعثمان، وعليًّا– رضي الله عنهم أجمعين.

وشن حروب عنصرية ضد الدول الأموية، والعباسية، والعثمانية.

وحديثًا: بتعاونها مع الغرب الصليبي في العدوان على أفغانستان والعراق، ومناصرتها الكاملة لنظام بشار الأسد الدموي ضد الشعب السوري، بدافع طائفي.

هذا، ناهيك عن مؤامراتها المستمرة في زرع الفتن الطائفية، وخلق القلاقل في العديد من الدول العربية والإسلامية، على أمل تحقيق حلمها الهادف إلى إعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية، وفرض هيمنتها على المنطقة العربية عبر بوابة دينها التي أسمته: (دين الإمامية).

لقد كان الهدف الأول للحركة الشعوبية قد تمثل في:

محاولة فصل الشعب الإيراني عن جسد الأمة الإسلامية؛ فكريًّا، وعقائديًّا.

ثم سعت في المرحلة الثانية إلى: إنشاء الدولة القومية

وفصلها عن الدولة الإسلامية؛ فكانت البداية بتبني أفكار (عبد الله ابن سبأ) المنحرفة، وذلك تحت لافتة التشيع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأهل البيت رضي الله عنهم.

وقد أمعنت الشعوبية في إدخال المعتقدات المجوسية والمانوية والمزدكية، وغيرها من العقائد الفاسدة، والبدع الخرافية، وبعض المعتقدات الطوطمية في دينها الجديد، حتى صنعت منه دينًا جديدًا بعيدًا عن ما جاء به الإسلام؛ وذلك من أجل أن تبعد الشعب الإيراني عن الإسلام الذي زعمت الشعوبية أنه مشروع تعريب وليس دينًا سماويًّا؛ لذا جعلت من دينها الجديد- دين الإمامية- حربة في مواجهة الإسلام والمجتمعات العربية.

أما الهدف الثاني للشعوبية: فقد تحقق لها في القرن العاشر الهجري عبر إنشاء الدولة الصفوية، وقيامها بفصل إيران عن الدولة الإسلامية، وتحويل هذا الكيان القومي والطائفي إلى حليف استراتيجي للقوى الصليبية، وخنجر في ظهر الأمة الإسلامية.

وما نشهده اليوم من قيام النظام الإيراني ومؤسساتها الدينية الصفوية بمساعي مستميتة؛ لنشر التشيع الصفوي في العالم العربي والإسلامي، فليس سوى استجابة لمخطط الحركة الشعوبية التي تحاول تحقيق هدفها الثالث، المتمثل في حلم إقامة الإمبراطورية الفارسية، عبر بوابة التشيع، بعد أن كانت قد حققت أهدافها- الأوَّل والثاني- عبر هذه البوابة.

لذلك سوف نحاول أن نقدم نماذج مختصرة عن (الحركة

الشعوبية)، تتضمن: تعريفها، نشأتها، ماهيتها، كيفية توظيفها الشعر، وصنفها الأساطير والقصص الخرافية، وأمور أخرى.

وذلك سعيًا منَّا لبيان حقيقة هذه الحركة العنصرية المعادية للإسلام وللأمة، وكشف أدواتها المخادعة، وعلى رأسها: نظام (الولي الفقيه)، ومؤسسته الدينية المسماة: (الحوزة العلمية).

ولله ولي التوفيق.

صباح الموسوي

عضو الأمانة العامة لمنتدى المفكرين المسلمين

القاهرة – 2013م

sabahalmousawī@ twitter:
facebook:almousawīsabah@

مقدمة امين رابطة علماء المسلمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد

أهداني أخي العزيز والمفكر الفذ ذو النسب الشريف (صباح الموسوي) كتابه الرائع (الشعوبية في مناهج الحوزة الدينية وأدبيات القيادة الإيرانية)؛ الذي جمع في كتابه بين التصحيح العقدي والنقد الفكري والتقويم الأدبي والمراجعة التاريخية؛ فهو يطوف بك من علم الى علم ومن حديقة غناء الى بستان افيح، لا تحس معه بملل المؤلفين ورتابة الكتّاب ،

عندما بدأت بقراءته لم استطع التوقف حتى بلغت نهايته، فأحسست بأني أخذت وجبة علمية وفكرية وأدبية وتاريخية دسمة تجشأت بعدها معلنا شبعي.

ومن جميل صنيعه جميل تقسيمه، ومما يميز الكتاب أن مؤلفه شيعي سابق ومتسنن لاحق ، ومقيم في ايران سابقا؛ فقد استطاع إبراز كثير من القضايا التي يغفل عنها من كان بعيدا عن ايران إقامةً وفكرا،ولإقامته- ردحا من الزمن- في الأحواز فقد اصطلى بنار الشعوبية، فهو يتحدث من حرقة وواقع ولا يكتب ترفا علميا،بدأ كتابه بالتعريف بمذهب الشعوبية المناوئ للإسلام باطنا والعرب ظاهرا، فحرب الاسلام صراحة مسقطة للمرء وفاضحة له من الوهلة الأولى؛ لذلك لجأ هؤلاء الطاعنون الى حيلة أخرى بالتنقّص من العرب؛ وذمهم وسبهم وشتمهم وإظهار معايبهم وتضخيم أخطائهم والتأليف في (مثالب العرب) فيؤدي هذا الى بغض جنس العرب، ومنهم النبي ﷺ وأصحابه، ثم لبغض لغة العرب ، وكل ما أُلف فيها ومنه القرآن والسنة، وبغض بلاد العرب؛ ومنها مكة والمدينة كما لا يخفى،

فخلف ستار الشعوبية المبغضة للعرب تسلل الكفر وبغض النبي ﷺ والصحابة وبغض القرآن ومكة والمدينة؛ لذلك قال ابن تيمية(بغض العرب كفر او سبب للكفر)- كما نقله المؤلف -

وبين ان الشعوبية نوعان فكرية وسياسية؛ والثانية نتيجة للأولى،

فبعدت أن أقنعت الشعوبية فئاما من الناس بعقيدتها واستطاعت عزلهم فكريا انتقلت لعزلهم إقليميا بدولة تحمل فكرة الشعوبية وتدافع عنها بل وتنشرها باسم جميل (تصدير الثورة) (يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا)؛

وحتى لا أفسد عليك - أخي القارئ- متعة الكتاب فأستميحك بوضع القلم عند هذا الحد وإلا فالكتاب يستحق أكثر من ذلك.

شكرالله للشيخ صباح الموسوي استخراج هذه الجوهرة النفيسة، والى مزيد من التوفيق ان شاء الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه

أ.د. عبدالمحسن بن زبن المطيري

الأمين العام لرابطة علماء المسلمين

مقدمة منتدى المفكرين المسلمين

يحرص منتدى المفكرين على تنوير الأمة بشتى القضايا الفكرية، وبعموم القضايا السياسية والتاريخية، ومن هذه القضايا الرئيسية: قضية التشيع والشعوبية، التي كان لها الأثر الكبير في مصير الأمة، والتصرف في فعلها الفكري والسياسي.

وقد أجاد الأخ صباح الموسوي بقلمه في هذا الأمر، وقام بطرق هذا الباب، الذي نادرًا من طرقه له بهذا الأسلوب المتدرج، والمفاهيم التي عرضها، والتاريخ لذلك المذهب الشعوبي البغيض.

إن الأسطورة، واللامعقول العقلي، والولوج لجعل الدين من (اللامعقول)، هو دأب الفِرَق الضالة والمنحرفة منذ القِدَم، ومنها فرقة الرافضة التي وظفت الشعوبية لضرب قوائم الأمة وقواعدها.

وما من شك أن الشعوبية البغيضة، وبغض العرب والمسلمين، كان للأدب فيه نصيب، وخاصة من خلال الشعر الشعوبي، كما أورد المؤلفُ- حفظه الله- طائفةً منه، ونحن نعلم أن الشعر أداة قوية ومؤثرة في السامع، وهو بمثابة الإعلام في هذه الأيام، فكان للشعر سطوته وتأثيره في هذا الجانب المهم من التاريخ الشعوبي.

ولعل أخطر ما في الكتاب: هو هذا التماهي بين التشيع والشعوبية، بل بين الحوزات العلمية الإيرانية- أي الجانب العلمائي في الفكر الشيعي- فقد وظفت الشعوبية في

التشيع، ووضف التشيع فيها؛ فكان التماهي والاندماج، بل وأصبحت الشعوبية جزءًا مهمًّا وعنصرًا أساسيًّا في فقه التشيع.

إننا أمام خطر قومي وخطر ديني، والأخطر هو عدم الفصل بين القومي والديني؛ فقد أصبحت القومية من المقدس الذي لا يجوز التنازل عنه!

وختامًا: نشكر أخانا صاحب القلم الفكري المتميز، ونحن في المنتدى- ومنذ مدة- نحاول أن نوصل الصوت لمعظم أبناء أمتنا العربية والإسلامية؛ حتى تعي دورها وتفهم أعداءها، ونسأل الله التوفيق والسداد.

عبدالرحمن الجميعان

المنسق العام لمنتدى

المفكرين المسلمين

الباب الأول:

الفصل الأول: تعريف الشعوبية

الفصل الثاني: نشأة الشعوبية

الفصل الأول:

تعريف الشعوبية

قدم العلماء والباحثون- من المسلمين وغيرهم- عدة تعريفات للشعوبية، ولكن رغم تباين هذه التعاريف، إلا أنهم أجمعوا على أن (الشعوبية) حركة ذات مشروع قومي، يرتكز على نظرية تفضيل العرق والثقافة الفارسية على الجنس والثقافة العربية، وتفوّق الديانة المجوسية على الدين الإسلامي.

وبهذا تكون الشعوبية قد استلهمت معظم أفكارها وطرق عملها من اليهودية التلمودية، التي ترى تفوق اليهود واليهودية على الأديان والخلق أجمع.

جاء في القاموس المحيط: ((والشُّعوبي- بالضم- محتقر أمر العرب، وهم الشعوب)).

ومن بين التعاريف الأخرى التي وضعها قدامى علماء المسلمين للشعوبية:

ما جاء في كتاب ((البيان والتبيين)) للجاحظ، الذي يعدُّ أقدم الكتب التي حملت إلينا اسم (الشعوبية)، قائلا: ((لم نرَ قومًا أشقى من هؤلاء الشعوبية، ولا أعدى على دينه ولا أشد استهلاكًا لعرضه))[1].

وجاء في ((تفسير القرطبي)): ((الشعوبية تبغض العرب وتفضل العجم))[2].

---

(1) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (3/ 22).

(2) ((تفسير القرطبي)) للقرطبي (11/ 189).

وقال الزمخشري في ((أساس البلاغة)): ((وهم الذين يصفّرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلًا على غيرهم)).

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية- وقد نسب الشعوبية إلى النفاق والكفر- فقال: ((ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب، والغالب إن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق؛ إما في الاعتقاد، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس)).

وقال أيضا: ((إن بغض جنس العرب ومعاداتهم كفر، أو سبب للكفر))[3].

واعتبر ابن قتيبة أن من اعتنق الشعوبية كان من سفلة الناس وغوغائيهم، قائلًا: ((ولم أَرَ في هذه الشعوب أرسخ عداوة ولا أشد نصبًا للعرب من السفلة والحشوة))[4].

أما المفكر الإيراني الدكتور (علي شريعتي) فقال عنها: ((تحولت الحركة الشعوبية تدريجيًّا من حركة تسوية إلى حركة تفضيل العجم على العرب، وعملت عبر ترويج المشاعر القومية وإشاعة اليأس من الإسلام إلى ضرب سلطة الخلافة))[5].

ووصف ابن قتيبة الشعوبية فقال: ((بفرط الحسد ووغر الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة، وتلحق بهم كل رذيلة، وتفلو في القول في الذم، وتبهت بالكذب، وتكابر العيان، وتكاد

---

(3) ((اقتضاء الصراط المستقيم)) لابن تيمية (ص 156).
(4) ((رسائل البلغاء)) (ص 270).
(5) ((التشيع العلوي والتشيع الصفوي)) لعلي شريعتي (ص 121).

تكفر، ثم يمنعها خوف السيف))[6].

وعـّرف البغدادي الشعوبية قائلًا: ((الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب، ويتمنون عودة الملك إلى العجم))[7].

ويقول الكاتب حمد بن محارب الظفيري: ((إن كل المعاجم والقواميس أشارت إلى أن الشعوبي هو كل حاقد ومحتقر للعرب والعروبة، ولا يرى لهم فضلًا، ويكره دينهم الإسلام دين التوحيد الخالص، وأكثر هؤلاء الشعوبيون من الفُرس الذين دخلوا الإسلام بأعداد كبيرة، بعد أن أسقط العرب المسلمون إمبراطوريتهم الفارسية الكسروية المجوسية. والمجوسية من المجوس، وهم كهنة الدين الزرادشتي ومعابد النار))[8].

أما الدكتور محمد عياش الكبيسي في رسالة له بعنوان: ((من فقه المقاومة))، فقد عرَّف الشعوبية بأنها: ((تيارات مختلفة يجمعها العداء للعرب)).

و جاء في الانسكلوبيديا البريطانية (anti-arabīsīm) : ((الشعوبية: كل اتجاه مناوئ للعروبة)).

أما الخطيب العراقي المعروف: الدكتور أحمد الوائلي، في كتابه ((هوية التشيع))، فكتب عن الشعوبية قائلًا:

---

(6) ((كتاب العرب)) أو ((الرد على الشعوبية)) لابن قتيبة- كما في ((رسائل البلغاء)) (ص 344).

(7) ((الفَرق بين الفِرق)) للبغدادي (ص 285).

(8) ((جريدة السياسة الكويتية)) (13/ 12/ 2012).

((والشعوبية لغة: جمع شعوبي، نسبة للشعب، وقد تطلق ويراد بها النزعة العدائية للعرب)).

لابد من الإشارة هنا إلى أن كلمة (الشعوبية) مرادفة لـ(الزندقة) ولأهل التسوية؛ أي الذين يساوون بين العرب المسلمين والموالي والأعاجم الذين اعتنقوا الإسلام، المساواة بينهم في الدين والحقوق والواجبات.. إذ أطلق القدماء على الشعوبيين اسم (أهل التسوية)، ومنهم ابن قتيبة في كتابه ((كتاب العرب)) – كما في ((رسائل البلغاء)) – وذلك لشكوكهم في القرآن والنبوّة، والانتقاص من العرب وحضارتهم، والسعي للقضاء على سلطانهم.

الفصل الثاني:
نشأة الشعوبية

ظهرت الشعوبية- كحركة معادية للعروبة والإسلام- بمظاهر متعددة، ومن ملاحظة تلك المظاهر يمكن حصرها في مجموعتين:

أ- مظاهر معادية للإسلام كعقيدة ونظام، وهي التي أطلق عليها: (الشعوبية الدينية).

ب- ومظاهر ناوأت العرب العداء، وتناولتهم بالطعن، وشوهت حضارتهم، وأشادت بحضارة غيرهم، وهذه أطلق عليها اسم: (الشعوبية العنصرية).

فيما تؤكد بعض الدراسات أن (الشعوبية) قد أعلنت عن نفسها في بدايات الخلافة الأموية، وقالت دراسات أخرى أنها أعلنت عن نفسها في بدايات الخلافة العباسية، فيما أعادت دراسات أخرى جذور الشعوبية الحقيقية إلى عصر الفتوحات الإسلامية.

وعلى سبيل المثال: فقد أورد الشيخ (علي كاشف الغطاء) بهذا الخصوص قائلًا: ((ولكنني أرجح أنها ظهرت أيام الخلفاء الراشدين، وما حادثة أبي لؤلؤة إلا مثَل واضح لتلك الشعوبية التي تطالب بالثأر)).

ويؤكد كاشف الغطاء ((أن الشعوبية لم تكن وليدة العصر العباسي، وإنما هي وليدة الوقت الذي شعرت به العناصر المغلوبة على أمرها بفقدان سلطانها وعزها، وأن مجدها قد اندثر، وأن دولتها قد انمحت، في هذا الوقت بدأت حركة

ترمي إلى ضرب سلطان العرب، وغرضها الأول: تحرير هذه العناصر المغلوبة على أمرها من سلطة العرب وسيطرتهم.

إذن، فمنشأ الشعوبية: هو الحقد الذي أضمره الفرس- وغيرهم من العناصر- المغلوبين للعرب الغالبين، فكانت حربًا لا هوادة فيها بين المغلوب وبين الغالب، وقد أخذت هذه الحرب مظاهر مختلفة منذ أن تم الفتح للعرب، وأحدثت آثارًا بعيدة متنوعة في حياة الأمم الإسلامية من الناحية السياسية والعلمية والدينية)) [9].

ويصور الجاحظ حركة الشعوبية وأهدافها قائلًا: ((إن عامة من ارتاب في الإسلام، كانت الشعوبية أساس ارتيابهم، فلا تزال الشعوبية تنتقل بأهلها من وضع إلى وضع، حتى ينسلخوا من الإسلام؛ لأنه نزل على نبي عربي، وكان العرب حملة لوائه عندما نزل)) [10].

ومما لاشك فيه، أن الديانات الفارسية القديمة كان لها أثرها البعيد في حياة الشعب (الأمة الفارسية)؛ فكانت مبعثًا مهمًّا من مباعث نشأة (الحركة الشعوبية).

ويأتي ذلك من أنَّ الديانات: (الزرادشتية)، و(الديصانية)، و(المانوية)، و(المزدكية).. كلها ديانات ثنوية، قامت على أساس المبدأ الثنوي، (وهو الذي يثبت أصلين اثنين مدبّرين، قديمين، يقتسمان الخير والشر.. ويسمون أحدهما:

---

(9) ((الشعوبية في السياسة والتاريخ)) لكاشف الغطاء- نقلًا من صحيفة الاعتدال.

(10) ((البيان والتبيين)) للجاحظ (3/ 359).

النور خالق الخير، والثاني: الظلمة خالقة الشر) !!!

لذا، فإن الخلاص من هذا المبدأ ليس بالأمر الهيّن، ولا يمكن إزالته تماماً عن الجمع الفارسي الذي دخل في الإسلام؛ وذلك لأن ثقافات الشعوب ومعتقداتها الدينية لا يمكن أن تنتهي بنهاية مرحلةٍ ما، إنما تبقى ذات تأثير فعال في السلوك والتفكير والتوجه والمعتقد.

ولما كان (التوحيد) هو الركن الأساسي في العقيدة الإسلامية، فإن اصطداماً حادًّا وقع بين (الثنوية الفارسية) و (التوحيد الإسلامي) !!! وقد ترتب على هذا الصِّدام صِدامٌ آخر بين المبادئ الجزئية والتطبيقات التفصيلية للإسلام من جهة، والنزوع إلى خلفيات الديانة الثنوية من جهة أخرى.

وكان لهذا كله أثره البعيد في إثارة الوعي لدى التيار العنصري المتطرف، الذي ظهر بمظهر التحدّي، ووقف من الإسلام والدولة العربية موقفاً يتّسم بالعداء والمعارضة، وعبّرت روح التحدي تلك عن نفسها بمعتقداتٍ مستهجنة، وممارسات خاطئة؛ خالفت القيم والمعتقدات الإسلامية، أُطلق على أتباعها اسم: (الزنادقة). و(الزندقة) مظهر من مظاهر (الشعوبية) !!![11].

و قد ألمح الجاحظُ إلى ذلك في كتابه (الحيوان)؛ إذ يقول: (ربما كانت العداوةُ من جهة العصبية؛ فإن عامة من ارتاب بالإسلام إنما جاءه ذلك عن طريق (الشعوبية)، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإنْ أبغض تلك اللفة أبغض تلك

---

(11) سلسلة رسائل (الشعوبية الداء العضال للإسلام وأهله).

الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام؛ إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وكانوا السلف والقدوة!!!)[12].

وعن الآثار السلبية لظهور الشعوبية: يقول الدكتور صبري محمد خليل، من جامعة السودان: ((إذا كان من أسباب ظهور الشعوبية- طبقًا لمفهومها الاجتماعي- هو محاوله الناس البحث عن حل لمشاكلهم من خلال علاقات أضيق من ألامة فان هذه المحاولة لن تنجح أيضًا من خلال الشعوبية؛ ذلك أنها محاوله فاشلة للعودة إلى طور تكوين اجتماعي تجاوزه التطور الاجتماعي.

وإذا كانت (الشعوبية)- طبقًا لمفهومها الاجتماعي- موجودة في كل أمم الأرض، فإنها في الأمم المسلمة (كالأمة العربية) ذات طابع خاص؛ إذ إن الإسلام هو الذي ارتقى بها إلى طور الأمم، الشعوبية إذن في الأمم المسلمة لابد أن تكون مناهضة للإسلام) .13

---

(12) كتاب ((الحيوان)) للجاحظ (7/ 68).

(13) د. صبري محمد خليل : الشعوبيه بين المفهومين التاريخى والاجتماعى

الباب الثاني:

الفصل الأول: ماهية الشعوبية

الفصل الثاني: مؤامرات الشعوبية

الفصل الأول:

ماهية الشعوبية

عند الحديث عن (الشعوبية) نواجه بسؤال يطرح نفسه علينا بقوة، وهو: هل الشعوبية حزب سياسي حمل مقولًا هدامًا للحضارة الإسلامية المشرقة؟ أم أنها مجرد تكوين اجتماعي كما يحلو للبعض وصفها؟

عن هذا السؤال يجيب الدكتور عادل جاسم البياتي قائلًا:

((يوشك الدارسون والمتحدثون في حقل الثقافة التراثية أن يجعلوا من الشعوبية (حركة)، وإن لم تبرز منهم حركة باسمهم، وإن كانت الحركات العنصرية والصراعات العقائدية لا تبتعد عنهم، وتذبذبت الصفة بين أن تكون (نزعة) أو (عقيدة)، ثم خرجت الأبحاث بالنتيجة نفسها: على أن الشعوبية (نزعة) أكثر منها (عقيدة)، أما القدماء ومنهم الجاحظ، يجعلها نِحْلة من النِّحَل، مشبِّهًا إياها بما انتشر في عصره من معتقدات ومقولات طرحتها فرق إلحادية وجماعات فوضوية))[13].

ويرى ابن حزم الأندلسي: أن لظهور الشعوبية أسبابًا سياسية، ويركز فيه على دور بعض الفرس الذين مثلوا هذا الاتجاه أبرز تمثيل، بقوله: ((والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسهم، حتى

---

(13) البياتي: ((وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي)) (ج 1)، ((هيئة كتابة التاريخ)) ، بغداد، (ص 392).

أنهم كانوا يسمون أنفسهم: الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً؛ تعاظم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، ورامو يد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، ففي كل ذلك يظهر لله سبحانه وتعالى الحق)) [14].

وعن أسلوبها في التمويه والتغطية على ماهيتها الحقيقية:

فقد قال الدكتور علي شريفتي: ((... وبفية ترسيخ أفكارها وأهدافها في ضمائر الناس، وعجنها مع عقائدهم وإيمانهم، عمدت الصفوية إلى إضفاء طابع ديني على عناصر حركتها، وجرها إلى داخل بيت النبي؛ إمعاناً في التضليل، مستفلة التشيع لكي تضفي على الشعوبية طابعاً روحيًّا ساخناً، ومسحة قداسة دينية، ولم يكن ذلك الهدف الذكي متيسراً إلا عبر: تحويل الدين الإسلامي، وشخصية محمد عليه الصلاة والسلام، وعلي رضي لله عنه، إلى مذهب عنصري، وشخصيات فاشية، تؤمن أيضاً بأفضلية التراب والدم الإيراني، والفارسي منه على وجه الخصوص)) [15].

أما خير لله طلفاح: فيعتقد بأن للشعوبية فكرة وعقيدة سياسية، والفكرة والعقيدة معناها المبدأ، ولكل حزب سياسي

---

(14) ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) لابن حزم (2/ 19).
(15) ((التشيع العلوي والتشيع الصفوي)) (ص 122).

فكرة وعقيدة[16].

ويرى الدكتور عبد الله السامرائي:

أن الشعوبية مجموعة مواقف متحدية، يدفعها الوعي حينًا فتكون منظمة، ويدفعها الحقد والحسد حينًا آخر فتكون نزعة عدائية غير منظمة، ومن متابعة نشاط الشعوبية بمظهريها الديني والعنصري، يمكننا أن نقرر أن الشعوبية الدينية كانت حركة منظمة؛ فقد تظاهرت بالإسلام وعملت على هدمه من الداخل، وتوزعت إلى فرق وحركات كثيرة؛ إمعانًا في التستر والاختفاء، وكانت تنظيماتها مركزة تجلت في التعليمات التي كانت تصدرها لدعاتها، فقررت أن من شروط الداعي لدعوتها: (أن يكون عارفًا بالوجوه التي تدعى لها الأصناف، فليست دعوة الأصناف من وجه واحد، بل كل صنف من الناس وجمع يدعى منه) وذلك حسب ما نقله البغدادي في **الفرق بين الفرق** - -180-181[17].

ولا شك أن مثل هذه التعليمات لا يمكن أن تصدر إلا من جهة منظمة، لها خبرتها وتجاربها في مجال التنظيم والدعاية، وأن هناك عملية إعداد خاصة للدعاة؛ من أجل أن تكون لهم القدرة لمعرفة الناس، وكيفية التأثير عليهم، بعد الوقوف على تكوينهم الفكري والديني والخلقي.

أما الدكتور عبد العزيز الراوي:

---

(16) ((كنتم خير أمة أخرجت للناس)) لخير الله طلفاح.

(17) ((الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية)) للدكتور عبد الله سلوم السامرائي.

فيعتقد أن الحركات السرية التي تتظاهر بالإسلام، وتعمل على هدم السلطان العربي الإسلامي، أو على هدم الإسلام، أو الاتجاهات التي تحاول نسف الإسلام والعرب من الداخل، هي التي يمكن أن يطلَق عليها اسم: (الشعوبية).

ثم إن الجهود التي بُذِلت لمسخ التراث العربي، أو لتشويه دور العرب في التاريخ، تمثل جانبًا آخر من المحاولات لهدم الكيان العربي، وتكون طرفًا مهمًّا من الحركة الشعوبية.

وإذا نظرنا إلى الموضوع من ناحية اجتماعية: وجدنا جماعات على مستويات مختلفة تساهم في هذه الحركات والفعاليات، بين عامة، وتجار، وأمراء، بين أمِّيِّين، ومثقفين.

ولكن دور الفكر أو العقيدة أساسي في هذه الحركات، حتى غلبت هذه الناحية على نشاط الشعوبية، وهذا يعني أيضًا أن الشعوبية ليست حركة فئةٍ معينةٍ، أو طبقة اجتماعية، بل إنها تمثل الجهد الذي بذلته فئات مختلفة من شعوبٍ متعددةٍ؛ لزعزعة السلطان العربي، أو لإضعاف الإسلام وإرباكه، ولصد تيار الثقافة العربية الإسلامية، ولنسف التراث؛ فراحوا يشوهون التاريخ العربي في صدر الإسلام والعصر العباسي، فلم تسلم منهم فترة، ولم ينج منهم أحد، فلو أننا جمعنا الروايات ورسمنا منها هيكلًا للتاريخ العربي، حصلنا على صورة فجة غريبة[18].

---

(18) ((مقدمة في تاريخ صدر الإسلام)) للدكتور عبد العزيز الدوري- ط 2 (ص 11، 12).

الفصل الثاني:

مؤامرات الشعوبية

أثبت الباحثون أن مؤامرات الشعوبية تمثلت في حركتين أساسيتين:

الشعوبية الدينية: وهي الغلو والزندقة.

والشعوبية السياسية: وتمثلت في الانتفاضات والمؤامرات ضد الدولة الإسلامية.

وأكد الباحثون أن الشعوبية اتخذت الغلو ستاراً لنشاطها.

والغلو كما يراه الشهرستاني: تجاوز الحد في الدين. والغلاة هم الذين غالوا في حق أئمتهم؛ حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة، وحكموا فيهم أحكام الآلهة[19].

وعن الشعوبية الدينية ومبادئ الغلو، قال الباحثون: ((لقد ظهرت الفرق الغالية تحمل آراء غريبة، ومن أجل التستر عليها اتخذت من الإسلام شعاراً وستاراً، ومن أهل البيت محوراً لبدعها؛ فأبدعت آراء مناهضة للإسلام، أخطرها: الحلول، والتناسخ، والبداء، والتأويل. وحاولت من خلال هذه المبادئ توجيه ضربات قوية إلى الدين الإسلامي؛ فأحاطوه بمعتقدات غريبة، عملت على هدمه من الداخل، وخنقه من الخارج)).

وقد استغلت بعض الفرق الغالية الحلول لهدم المجتمع؛ بإباحة المحرمات، وترك الفرائض، وفي ذلك يقول البغدادي: ((ومنهم الذين عبدوا كل ما استحسنوا من الصور، على

---

(19) ((الملل والنحل)) للشهرستاني (2/ 10).

مذاهب الحلولية في دعواها حلول روح الإله- بزعمهم- في الصور الحسنة)) .

وقالت معظم الفرق الغالية بالتناسخ، ولم تقف عند حد انتقال الأرواح من جسد إلى آخر، بل ذهبت إلى القول بتناسخ روح الإله، وفي ذلك يقول البغدادي: ((وأما أهل التناسخ في دولة الإسلام... قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة)) [20].

وقد ساهم الشعراء والفلاسفة ورجال الدين في نشر الغلو, وكان بشار بن برد من أشهر الشعراء المغالين؛ حيث قال (بالرجعة وتفضيل النار على الأرض) ، وأنشد:

الأرض مظلمة والنار		والنار معبودة مذ كانت

وقوله:

إبليس أفضل من أبيكم آدم		فتنبهوا يا معشر الفجار
النار عنصره وآدم طينه		والطين لا يسمو فوق النار

لاحظ شطر البيت الثاني: (فتنبهوا يا معشر الفجار) ، ولم يقل: يا معشر المسلمين، أو العرب.

ومن هؤلاء أيضًا:

(خلف الأحمر) .

و(يونس بن أبي فروة) ، الذي قال عنه الجاحظ: ((ويونس هذا شعوبي، كتب كتابًا لملك الروم في مثالب العرب وعيوب الإسلام)) [22].

---

(20) ((الفرق بين الفرق)) للبغدادي (162، 213).

(21) المصدر سابق.

(22) كتاب ((الحيوان)) (4/ 448، 449)

أما (عمارة بن حمزة) فهو شعوبي، كان في خدمة ابن معاوية، الذي ثار في أواخر أيام الدولة الأموية في بلاد فارس.

ومن ندمائه: الشعوبي الشهير (مطيع بن إياس البقلي) ، الذي كان يشك، وينفي البعث والحساب؛ فيقول: إن الإنسان كالبقلة، إذا مات لا يرجع[23].

وهناك شعوبيون مشاهير أدرجهم الدوري في كتابه (الجذور التاريخية للشعوبية) ، منهم شعراء، وكتَّاب، وسياسيون، وقادة عسكريون، لعبوا أدوارًا كبيرة في أحداث التاريخ العباسي، نذكر أسماء بعض منهم، ويستطيع القارئ الاطلاع على أشعارهم أو نثرهم أو أعمالهم العسكرية الحربية، وهم:

عتَّاب الشعوبي، الصفدي، المتوكل، الجيهاني، ابن المقفّع، طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون وقاتل أخيه الأمين، الأفشين قائد جيوش المعتصم العباسي، الفضل بن سهل، وأبو مسلم الخراساني ، ثم البرامكة كسهل بن هارون.

وأوضَح أدوارَهم الثقافية والسياسية في هدم الإسلام بعد دخولهم فيه، وكذلك هدم السلطان العربي.

والدوري يوافق الجاحظ والتوحيدي وابن قتيبة وابن عبد ربه وكل من حارب الشعوبية وتصدى لها، يوافقهم في آرائهم فيها، وتشخيص أسلحتها، وأهدافها الحقيقية، وتعريفها تعريفًا يكاد أن يكون واحدًا ومتشابهًا.

---

(23) ((الأغاني)) (12/ 230).

يقول الدوري في كتابه اناف الذكر: ((ومن جهود أبي مسلم الخراساني، والفضل بن سهل، وطاهر بن الحسين: قامت الإمارة الطاهرية في خراسان، واتخذت مرو مركزًا لها، فتحقق أول أمل من آمال الشعوبية، وكان قيام هذه الإمارة بداية لحركات انفصالية متلاحقة عن الدولة الإسلامية، سببت ضعفها، وعجلت في انهيارها.

ومن خلال الإمارة الطاهرية عبّرت الشعوبية عن كثير من آمالها، وأحيت الثقافة الإيرانية، وساعدت في تنشيط حركة أدبية واسعة باللغة الفارسية)) [24].

ولا يفوتنا ذكر إحدى أبرز مؤامرات الشعوبية على هدم الدولة العباسية، بتعاونها مع المغول؛ حيث كان يقف على رأس المتآمرين آنذاك المنجم والفلكي المشهور وأحد برز شيوخ الطائفة الإسماعيلية، ومن ثَمّ مرجع الطائفة الاثني عشرية، المعروف عندهم بشيخ الطائفة: (محمد بن الحسن بن علي الطوسي (385 هـ - 460 هـ)).

فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ما نصه:

((إن هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الإسماعيلية بالألموت، ثم لما قدم الترك المشركون إلى بلاد المسلمين، وجاءوا إلى بغداد دار الخلافة، كان هذا منجمًا مشيرًا لملك الترك المشركين هولاكو، أشار عليه بقتل الخليفة وقتل أهل العلم والدين،

---

(24) الدكتور عبد العزيز الدوري:الجذور التاريخية للحركة الشعبية (ص11)

واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفقونه في الدنيا، وأنه استولى على الوقف الذي للمسلمين، وكان يعطي منه- ما شاء الله- العلماء المشركين وشيوخهم من النجشية السحرة وأمثالهم، وأنه لما بنى الرصد الذي بمراغة على طريقة الصابئة المشركين، كان أبخس الناس نصيبًا منه من كان إلى أهل الملل أقرب، وأوفرهم نصيبًا من كان أبعدهم عن الملل، مثل الصابئة المشركين، ومثل المعطلة وسائر المشركين.

ومن المشهور عنه وعن أتباعه: الاستهتار بواجبات الإسلام ومحرماته، لا يحافظون على الفرائض كالصلوات، ولا ينزعون عن محارم الله؛ من الفواحش، والخمر، وغير ذلك من المنكرات، حتى أنهم في شهر رمضان يذكر عنهم من إضاعة الصلوات وارتكاب الفواحش وشرب الخمور، ما يعرفه أهل الخبرة بهم، ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين، الذين دينهم شر من دين اليهود والنصارى.

ولهذا كان كلما قوي الإسلام في المغل وغيرهم من الترك، ضعف أمر هؤلاء؛ لفرط معاداتهم للإسلام وأهله... وبالجملة، فأمر هذا الطوسي وأتباعه عند المسلمين أشهر وأعرف من أن يعرَّف ويوصف)) [25].

وقال عنه العلامة محب الدين الخطيب:

((جاء في طليعة موكب السفاح هولاكو، وأشرف معه على إباحة الذبح العام في رقاب المسلمين والمسلمات،

---

(25) ((منهاج السنة)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (3 / 445، 451).

أطفالًا وشيوخًا، ورضي بتفريق كتب العلم الإسلامية في دجلة، حتى بقيت مياهها تجري سوداء أيامًا وليالي من مداد الكتب المخطوطة التي ذهب بها نفائس التراث الإسلامي من تاريخ وأدب ولغة وشعر وحكمة، فضلًا عن العلوم الشرعية، ومصنفات أئمة السلف من الرعيل الأول، التي كانت لا تزال موجودة بكثرة إلى ذلك الحين، وقد تلف مع ما تلف من أمثالها في تلك الكارثة الثقافية التي لم يسبق لها نظير)) [26].

فرغم بشاعة الفعل الذي قام به الطوسي، إلا أن علماء الطائفة لم ينكروا عليه، بل أثنوا على فعله، واعتبروه عملًا لخدمة الطائفة، وهنا بعض الشواهد:

ذكر محمد باقر الموسى في ((روضات الجنات)) في ترجمة الطوسي قائلًا: ((هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل... ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول: حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان بن تولي جنكيز خان، من عظماء سلاطين التتارية وأتراك المغول، ومجيئه في موكب السلطان مؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد؛ لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد دائرة الجور والإلباس بإبداد دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام في أتباع أولئك الطغاة، إلى أن سال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار

---

(26) ((الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الاثنى عشرية)) لمحب الدين الخطيب (ص 47، 48).

البوار، ومحل الأشقياء والأشرار)) [27].

أما الخميني فقد امتدح الطوسي، وبارك خيانته هذه، واعتبرها نصرًا حقيقيًّا للإسلام؛ حيث قال في كتابه ((الحكومة الإسلامية)):

((وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحدًا منا بالدخول في ركب السلاطين، فهنا يجب الامتناع عن ذلك، حتى لو أدى الامتناع إلى قتله، إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصرًا حقيقيًّا للإسلام والمسلمين، مثل دخول علي بن يقطين، ونصير الدين الطوسي رحمهما الله)) [28].

وعن مؤامرات الشعوبية:

قال المفكر الإيراني الراحل على شريعتي: ((تم الانتقام من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ثم الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ثم الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، في مؤامرة كبيرة استهدفت وحدة الأمة وهويتها ورموزها، ومع أن هؤلاء الخلفاء الثلاثة كانوا صفًّا واحدًا، وراحوا لقضية واحدة، إلا أن الشعوبية راحت تصورهم ضحايا للمنافسات الداخلية على الغنائم والمناصب.

وضمن هذا البرنامج والمخطط المدروس سعت الشعوبية لإظهار عمر بمنزلة العدو (رقم واحد) لعلي؛ وذلك انتقامًا من دور عمر البارز في القضاء على الدولة الساسانية)) [29].

---

(27) ((روضات الجنات)) (1/300، 301).
(28) ((الحكومة الإسلامية)) للخميني (ص 142).
(29) ((التشيع العلوي والتشيع الصفوي)) لشريعتي (ص 134).

ومن تحالف الطوسي وابن العلقمي مع هولاكو والمغول، يذكّرنا علي شريفتي بتحالف آخر لا يقل خطورة عن الأول، فيقول: ((من القضايا الواضحة: وجود نحو ارتباط بين الصفوية والمسيحية؛ حيث تضامن الاثنان لمواجهة الإمبراطورية الإسلامية العظمى، التي كان لها حضور فاعل على الصعيد الدولي إبان الحكم العثماني، وشكلت خطراً جديًّا على أوروبا، فعمدوا إلى تقريب التشيع من المسيحية؛ حتى يتيقن بأن كلب المسيحي الإفرنجي أطهر من السنة الذين قتلوا الحسين)) [30].

(30) المصدر السابق (ص 206).

الباب الثالث:

الفصل الأول: الشعوبية وانتحال الأساطير.

الفصل الثاني: الشعوبية في مناهج الحوزة الدينية.

الفصل الثالث: الشعوبية والشعر.

الفصل الرابع: الشعوبية على لسان القيادة الإيرانية.

الفصل الأول

الشعوبية وانتحال الأساطير

يرى أطباء علم النفس وأخصائيو علم الاجتماع: أن الأسطورة دليل لفهم السلوك الإنساني اليومي، وحفظ التوازن والاستقرار في النفوس المضطربة تجاه الأخطار المحدقة بها، وحين تذكر الأسطورة، تتبادر إلى الأذهان مفاهيم الخرافة، والأباطيل، والسحر، واللامعقول، والأهم من كل ذلك: الماضي، الذي وقع وتحول إلى مجرد ذكرى.

لقد اختارت الشعوبيةُ (الأسطورةَ) كأحد أهم الوسائل؛ لنشر وتثبيت فكرها في أذهان الناس، وقد استطاعت– إلى حدٍّ بعيد– تحقيق غايتها.

وما المناسبات (الوثنية) التي نشاهد الاحتفاء بها بشكل واسع في إيران؛ كالقفز على النار في آخر ليلة أربعاء من كل سنة، وأساطير أخرى تجري في إحياء مناسبة عاشوراء، وأخرى في شهر صفر (الابتهاج بذكرى مقتل الخليفة الثاني – مناسبة عمر كشي) ، وغيرها من الأعمال الوثنية الأخرى، ما هي إلا دليل واضح على أن الحركة الشعوبية تعمل لإبقاء فكرها حيًّا، مقابل حيوية الفكر الإسلامي الذي يتجدد مع الزمان، والذي تخشى الشعوبية أن تؤدي النهضة الإسلامية وتجدد حركتها، إلى القضاء على أفكارها التي ترى فيها موروثًا دينيًّا (مجوسيًّا) وقوميًّا (آريًّا) مقدسًا يجب المحافظة عليه؛ لحماية الهوية القومية الفارسية من الذوبان في كل ما هو إسلامي وعربي.

*** أسطورة زواج الحسن من ابنة كسرى:**

ومن أجل ربط القومية بالمذهبية– للحفاظ على الهوية القومية– فقد نسجت الحركة الشعوبية واحدة من أخطر الأساطير في سبيل ترويج فكرها، وهي قصة زواج سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما بأميرة فارسية ((من سلالة نقية))، وهي الأميرة ((شهربانويه)) ابنة الملك يزدجرد الثالث، آخر ملوك الساسانية الذين أزال الله ملكهم على يد المسلمين العرب.

ولكي تستطيع تحقيق أهدافها: فقد سلكت الحركة الشعوبية طريق ترويج فكرها بين الناس تحت ستار المذهبية، ولكي يتحقق لها ذلك فقد أدخلت آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم في صلب مشروعها الفكري؛ من أجل بناء نهضة شعوبية شيعية، تحول فيها التشيع الوحدوي إلى وسيلة تفرقة بين المسلمين، ومن خلال هذا التشيع تستمر فيها الحياة.

لهذا فان التركيز على مسألة زواج سيدنا الحسين من ابنة كسرى، ليس من باب كونها الأسطورة الوحيدة التي وظفتها الشعوبية في الفكر الشيعي لأهدافها المقيتة، وإنما تكمن أهميتها في كونها تكشف عن مدى تغلغل الأسطورة في بناء هذا الفكر، الذي يعتبر الكثيرون تقاليده ومناسباته موروثاً مقدساً، يحرم التطرق إليه أو المساس به، رغم أن هذا الموروث ليس قرآناً منزّلاً، وإنما هو مجرد أخبار لحوادث تاريخية؛ بعضها حقيقية، وأخرى مختلقة ولا صحة لها،

تناقلها رواة ومحدثون؛ الكثير منهم إما أصله مجهول، وإما مطعون في مصداقيته.

وما يجعل الباحث يهتم بأمر هذه الرواية ((الأسطورة)): أن بعض رواتها لم يتوقف عملهم عند هذه الأسطورة وحسب، وإنما هم يشكلون مصدرًا للمئات، وربما الآلاف من الروايات الشعوبية الأخرى.

لذا فان إثبات أو نفي قضية زواج سيدنا الحسين من ابنة كسرى سوف يكشف لنا عن مدى صحة القضايا الأخرى التي هي من صميم المورث الشيعي المقدس، وقد جاء أكثرها عن طريق نفس رواة هذه الأسطورة.

لهذا– وبما أنني من محبي أهل البيت عليهم السلام، وعشت عدة عقود وأنا أعتنق العقيدة الشيعية، وكنت من حيث لا أدري مؤمنًا بالكثير من الخرافات والأساطير التي ابتدعها رواة الشعوبية– فقد سعيت إلى محاولة كشف ما أمكن كشفه من هذه الأساطير؛ لتطهير فكري أولًا، ومحاولة لإظهار الحقيقة ثانيًا.

فالأمانة التاريخية تقتضي قول الحقيقة، وكشف التزييف، وتعرية الباطل.

وتعرية الشعوبية ووليدتها الصفوية، ليس له أي علاقة بصراعي مع الدولة الإيرانية التي اغتصبت بلدي (الأحواز)، وظلمت شعبي، وحرمتني من أبسط حقوقي الإنسانية.

ثم إني قبل أن أكون مواطنًا عربيًّا أحوازيًّا، فأنا مسلم موحِّد، وأنتسب لأهل البيت– رضي الله عنهم– ومحبٌّ لهم

بالفطرة، وهذا الإيمان والنَّسب والحب يلزمني بكشف ما أستطيع كشفه من الأساطير والخرافات التي أراد بها الشعوبيون ضرب الإسلام ومعاداة العرب تحت مسمى: التشيع لأهل البيت !!!

ولتحقيق هذا الهدف: وضعت الشعوبية، خطة عميقة وذكية، تقوم أولًا على إظهار النبي صلى الله عليه وسلم وسيدنا علي رضي الله عنه بمظهر القوميين المتعنصرين للسلالة والأسرة، ومؤمنين بنقاوة الدم والعرق، وتبجيلهم للعنصر الفارسي، (و منه على وجه الأخص الأسرة الساسانية)؛ وذلك من خلال اختلاق عدد من الروايات والأحاديث.

حسب رأي الدكتور علي شريعتي: فالرواة الشعوبيون الذين اختلقوا هذه الأسطورة– زواجِ الحسين من ((شهربانويه)) – أصبحوا فيما بعد مصدرًا ينقل عنه كبار مراجع الشيعة: الكافي، الصدوق، المفيد، وهؤلاء الرواة هم:

1– إبراهيم بن إسحاق، أبو إسحاق الأحمري النهاوندي، (ت 269هـ)، وهو شعوبي عامي، اشتهر بضعف الحديث، والغلو، والتدليس في المتون وسند الروايات، والخلط. وهو من العناصر التي سعت في نشر روايات الشعوبية في الوسط الشيعي[31].

2 – عمرو بن شمر، أبو عبد الله الجعفي، وهو من سواد فيلق الغلو الشيعي الشعوبي، عايش عددًا من أئمة الشيعة،

---

(31) ((رجال النجاشي)) لأبي العباس النجاشي (ص 14).

وكان ممن يصطنعون الأحاديث ويسطو على روايات الآخرين، لاسيما روايات جابر بن يزيد بن حارث الجعفي، ومع ذلك فإن اسم هذا الرجل بقي يتردد في كثير من أحاديث وروايات الشيعة، على الرغم من أن فريق الأصوليين– ومنذ البداية– اهتم بنقد وتجريح رواياته، إلا أن فريق الأخباريين عمد إلى توثيقها.

ويعتقد أن سبب اعتماد روايات ((عمرو بن شمر)) في سلسلة المصادر والأسانيد الأسطورية الشيعية: هو كثرة النقل عنه، واشتهاره في وسط العوام من الشيعة؛ حيث كان يجمع الأساطير والأوهام والأكاذيب ويضعها في غالب الروايات، ويقوم بنشرها[32].

فجنح المحدثون الشيعة الذين ليس لهم ميل إلى النقد والتجريح إلى قبول روايات ((عمرو بن شمر))، على علتها.

ونرى الشيخ (الصدوق) الذي يعد إمام المحدثين الشيعة، كان واقعًا تحت تأثير كثرة النقل وإشهار روايات الشعوبية؛ ولهذا كان يخالف النقد والتجريح لأيٍّ من روايات عمرو بن شمر[33].

وقد وصف آية الله أبو القاسم الخوئي– وهو من كبار مراجع الشيعة وله باع طويل في علم الرجال– ((عمرو بن

---

(32) المصدر السابق (ص 204).

(33) مستدرك 580/3، ((معجم الرجال)) للخوئي (106/13) ش8922.

شمر)) بأنه شخص مجهول الهوية وضعيف السند[34].

3- عُبَيد بن كُثَير بن محمد الكوفي، من أهل الكوفة، (ت 294هـ). يروي عن علي بن الحسين السجاد، وعن ابنه محمد الباقر. وكان من واضعي الحديث.

ويقول عنه النجاشي أنه كان يصطنع الروايات، وكان يجمع الأكاذيب والأساطير على شكل روايات ويقوم بنشرها بين العوام من شيعة العراق وإيران[35].

هؤلاء هم رواة أسطورة زواج الإمام الحسين بابنة يزدجرد الثالث ملك الفرس ((شهربانويه)).

وأسطورة الزواج هذه تبدأ حسب ما يرويها صاحب كتاب البصائر ((محمد بن حسن الصفار)) بسند عن الرواة سالفي الذكر، كما يلي:

((كانت ابنة يزدجرد مظهرًا ومثالًا حقيقيًّا للفرهة الايزدية (العزة الإلهية)، وهي حامية وحافظة لعظمة وأبهة قيم الملكية الساسانية، فلما دخلت المدينة خرجن بنات المدينة صفًّا لرؤيتها، وقد أضاء المسجد من شعاع نور وجهها، وهنا تغلب نور ((الفرهة الايزدية)) على نور النبوة المحمدية)).

والمجلسي الذي نقل هذه الرواية في ((البحار)) في (49/ 9)، حور في جملة واحدة من الرواية؛ فقد أبدل كلمة

---

(34) ((معجم رجال الخوئي)) (13/ 106).

(35) ((رجال النجاشي)) (ص 162، 163)، ((جامع الرواة)) (1/527، 528).

(مسجد) بـ(مجلس)؛ وذلك مراعاة للعامة.

ثم يسترسل الراوي شارحًا عملية خطبتها من قبل الإمام علي، في حضور الخليفة عمر بن الخطاب– رضي الله عنهما– لابنه الحسين، ويتم الزواج، وتنجب ((شهربانويه)) غلامًا، ذكر الشعوبيون أن أبا الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو النوشجاني) صاحب الإمام علي بن أبي طالب، أنشد فيه البيت التالي:

((وإن غلاما بين كسرى	لأكرم من نيطت عليه

وهذا الغلام هو: علي بن الحسين ((السجَّاد))، الذي ذكرت العديد من المصادر الإسلامية أن أمه أم ولدٍ، خلافًا لرواية الشعوبية.

قال البلاذري: ((وكانت أم علي بن الحسين سجستانية، تدعى: سُلافة)) [36].

وقال الخوارزمي: ((... أمه أم ولد، أمه: سلافة)) [37].

وقال اليافعي: ((أمه أم ولد، من أسراء بلاد السند)) [38].

وقال اليعقوبي: ((أمه أم ولد، من أسراء كابول)) [39].

وقال ابن طولون في الأئمة الاثنى عشر: ((أمه سندية،

---

(36) ((الأنساب)) للبلاذري (3/ 102، 103).

(37) ((المناقب)) (ص 143).

(38) ((مرآة الجنان)) (1 /210).

(39) ((تاريخ اليعقوبي)) (3/ 43).

يقال لها: سلافة)) [40].

وقال الإربلي: ((أمه أم ولد، اسمها: غزالة)) [41].

وقال أحمد أمين: ((كان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء، حتى نشأ منهم علي بن الحسين)) [42].

وقال سعد بن عبد الله القمي الأشعري: ((... أم ولد يقال لها سلافة)) [43].

وقال ابن سعد: ((... أم ولد واسمها غزالة)) [44].

وحول ما إذا كان فعلًا (ليزدجرد الثالث) بنت اسمها ((شهربانويه)) أم أن هذه التسمية مختلقة من قِبَل الشعوبية، فان المصادر التاريخية تنفي صحة ذلك:

قال الباحث الإيراني الدكتور سعيد نفيسي، في كتابه ((تاريخ إيران الاجتماعي)): ((إن يزدجرد الثالث لم تكن له- أصلًا- بنت باسم ((شهربانويه))، حتى تؤسر في المدائن وتؤخذ لعمر لكي تتزوج بالإمام الحسين وتكون أم للإمام السجاد. كما أن ((يزدجرد)) في فترة خلافة عمر- رضي الله عنه- كان عمره خمسة عشر عامًا، فكيف تسنى أن يكون له بنت بعمر الزواج!)) [45].

وقال المسعودي في مروج الذهب: ((إن يزدجرد بن

---

(40) ((ابن طولون)) (ص 78).

(41) ((كشف الغمة)) (2/ 80).

(42) ((ضحى الإسلام)) لأحمد أمين (1/ 11).

(43) ((كتاب المقلات والفرق)) لسعد القمي (ص 70).

(44) ((الطبقات)) (5/ 156).

(45) ((تاريخ إيران الاجتماعي)) لسعيد نفيسي (1/ 13).

شهريار بن كسرى، وهو آخر ملوك الساسانية، كان ملكه إلى أن قتل بمرو من بلاد خراسان، وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان– رضي الله عنه– وهي سنة إحدى وثلاثين من الهجرة. وقتل يزدجرد وله خمس وثلاثون سنة، وخلف من الولد: بهرام، وفيروز، ومن النساء: أدرك، وشاهين، ومردآوند)) [46].

إن هذه القصة بقدر ما هي مختلقة وضعيفة من الناحية العلمية والتاريخية، إلا أنها من الناحية السياسية كانت صالحة لتحقيق أهداف الشعوبية، التي سعت إلى حماية هويتها القومية من الانقراض والذوبان في الهوية الإسلامية.

كما أن هذه الأسطورة تكشف لنا عن مدى الاختراق الذي أحدثته الحركة الشعوبية ووليدتها الحركة الصفوية في المذهب الشيعي.

وعليه، فقد أصبح واجب على من يسمون أنفسهم: (الموالون لأهل البيت)، التدقيق في الروايات والأحاديث المدسوسة، والتي هي مع الأسف تشكل اليوم جزءًا كبيرًا من معتقدات المذهب.

وأخيرًا، يبقى التساؤل قائمًا، إذا كان الشعوبيون والصفويون قد حققوا ضالَّتهم في هذه الأسطورة، فما الذي تحقق لنا نحن حين صدقنا بها؟

وماذا سيتحقق لنا إذا ما بقينا مصدقين بالأساطير الشعوبية والصفوية المماثلة الأخرى؟

---

(46) ((مروج الذهب)) للمسعودي (1/ 310، 311).

الفلسفة السياسية لأسطورة زواج الحسين من بنت كسرى:

يرى المفكر الإيراني الراحل (الدكتور علي شريفتي): أن مسألة الزواج في العهد القديم– وخصوصاً بالنسبة لبعض الفئات الاجتماعية الأرستقراطية– قبل أن تكون حاجة جنسية أو طريقة من أجل الإنجاب وبناء الأسرة، فهي عادة اجتماعية، وصورة شرفية، وتقليد يحكي عن نوع من التعاقد الطبيعي، وحلف غير مكتوب، وتواصل سياسي، وعهد مصالحة، وفي النهاية كثيراً ما كان يؤدي إلى اتحاد أو امتزاج بين أسرتين أو قبيلتين.

والزواج في مثل هذه الحالات له مفهوم عميق من ناحية علم الاجتماع، ويكون حساساً للغاية كونه مؤثراً جدًّا في تحديد مستقبل وتاريخ هذا الطرف أو ذاك.

وفي الأسطورة يتم انتخاب فتاة من أسرة تم انقراضها؛ لتزويجها بشاب من الأسرة القارضة؛ لكي يستمر وجود الأسرة المنقرضة[47].

لذا ومن أجل إبقاء سلالة الأسرة الملكية الساسانية– التي كان كسرى يزدجرد الثالث آخر حلقاتها– كان لابد من وصلها بسلالة الإمامة الشيعية؛ ولذلك فإنه من الضروري أن تدخل بنت (يزدجرد) دار عليٍّ؛ لتكون من أهل بيت النبوة. يعني أن السلالة التي انقرضت تتحول إلى رحم، والسلالة القادمة والتي ستبقى تتحول إلى صلب ليشكل شاب من بني هاشم وفتاة من بني ساسان، أولى حلقات سلالة جديدة جاءت

---

(47) ((التشيع العلوي والتشيع الصفوي)).

لتبقى، وآخر حلقة للسلالة ذهبت.

والهدف من هذا هو تمكين القومية التي انهزمت من العودة، مختبئة في لباس الإسلام.

والطريقة هي أن يتم ربط الملكية الساسانية بالنبوة الإسلامية، ويتم مزج (العزة الإلهية) مع (النور المحمدي)؛ لتنجب طفلًا يكون حاملًا لجوهرتين، وحلقة وصل بين سلالتين.

وهذا الوليد هو (الإمام علي بن الحسين) الملقب بـ (السجَّاد).

وهنا تنكشف أولى حلقات أهداف هذه الأسطورة، التي سوف تتضح على التوالي باقي أجزائها، والتي سوف ينكشف سرُّ إظهار الشعوبية نفسها بمظهر الحركة الشيعية المتحمسة لأهل البيت، والمدعية الدفاع عن حقهم في الحكم والإمامة[48].

وفي مقالة بعنوان ((الإسلام في إيران)) يشرح الباحث والمؤرخ الهندي الدكتور R.NATH تلك الأسباب التي دعت الحركة الشعوبية إلى تبني المذهب الشيعي، موضّحًا أن الإسلام بالنسبة للإيرانيين يجب أن لا يكون منفصلًا عن الثقافة الإيرانية.

فالثقافة الإيرانية تتمتع بخصوصية مميزة بشكل كامل، وتختلف مع تقاليد وعادات الحياة العربية في: السعودية، ومصر، وسوريا، وحتى العراق المجاور. ولما كان الفرس أمة

---

(48) ((نهضة المقاومة الوطنية في إيران)) باللغة الفارسية (ص 149).

تاريخية ومثقفة، ولديها حضارة متقدمة، كان من الصعب أن يقبلوا الذوبان ويتخلوا عن هويتهم القومية.

هذا الرفض كان السبب الأول في نشوء الصراع حول موضوعِ الخلافة والإمامة، والذي أدى فيما بعد إلى ظهور مفسكرين؛ أحدهما مؤيد للنظرية التي تقول بانتخاب خليفة النبي، وآخر مؤيد لنظرية الإمامة التي تتم عن طريق الوراثة.

ويرى الدكتور R.NATH أن ظهور التشيع في الإسلام بدأ مع حرب الجمل في ربيع الثاني سنة 36 هـ، ويتساءل قائلًا:

((ترى لو لم يعارض الأمويون- بقيادة معاوية- ترشيح الإمام عليٍّ للخلافة، فهل كنَّا سنشهد ولادة التشيع؟ وهل صحيح أن هذه الحادثة وحدها التي كانت السبب في صنع مذهب التشيع؟ على الرغم من أنه لا يوجد مكان لكلمة (لو) و(لكن) في التاريخ، إلا أن الفرضيات تؤدي أحيانًا إلى استخلاص بعض النتائج))[49].

((كان الفرس على إيمان قوي بعقيدتهم التي ترى صفة (الإلوهية بالمَلِك)، وكانوا يرونه الحاكم على الوجود، وصاحب الأقاليم السبع وأطراف الدنيا الأربعة. والملك عندهم ظل لله في الأرض؛ وفي عهد الاخمينيين [546 - 336ق م] والاشكنانيين [226 - 336 ق م] والساسانيين [الثانية 226 – 651م]، كان النظام الملكي يعد نظامًا إلهيًّا عند الإيرانيين؛ ولهذا فان مسألة انتخاب الخليفة التي من العادات والتقاليد القبلية العربية، فإنها تتعارض مع موضوع الإيمان

---

(49) المصدر السابق.

بإلهية الملك، الذي كان من خصوصية عقيدة الإيرانيين.

(فالساسانيون) الذين سقط آخر ملوكهم على يد العرب، كانوا يرون في أنفسهم آلهة؛ لذا فان قبول خليفة منتخب كانت بالنسبة للفرس مسألة صعبة جدًّا، وأمر مرفوض؛ لهذا فقد شكلت عقيدة الفرس التي تقوم على حق ألوهية الملك القاعدة الأساسية التي بُنيت عليها نظرية الإمامة الشيعية الوراثية، وهذه من خصوصية الإسلام الإيراني)) [50].

(50) المصدر السابق.

الروايات المتضاربة في أسطورة زواج الحسين بابنة كسرى:

١- رواية محمد بن حسن الصفار (٢٩٠ هـ)، قال: ((بسبب الحقد والكراهية التي كانت تكنها لخليفة العرب عمر بن الخطاب، الذي أصدر أمرًا باحتلال إيران، وأسقط المملكة الساسانية؛ فإنها حين رأته في (المسجد) غطت وجهها وبكت، وقالت: آه! بيروج بادا هرمز (النصر لهرمز). فعمر الذي لم يكن يعرف اللغة الفارسية البهلوية (الدري)، هجم عليها ليؤدبها؛ اعتقادًا منه أن الأميرة شتمته، ولكن الإمام علي بن أبي طالب، وبسبب الود المملوء بالسرِّ الغيبي الذي كان يكنه لآل ساسان، تقدم بسرعة إلى الأمام ومسك بازياق عمر وقال له: يا رجل- بنترة ونبرة حادة- قف، إنها لا تعنيك، ومن الأفضل أن تجعلها حرة حتى تختار شخصًا من المسلمين زوجًا لها. فوافق عمر، وقال: هو كذلك! فأنتِ حرة، ولكي أن تختاري يا سيدة.

فجاءت ممثلة الخورنة- نور الفرهة الايزدية وسليلة الأسرة الساسانية- التي أخذت ضيائها من أهورا مزدا (إله المجوس)، تتقدم وتتقدم وتتقدم، فوضعت يدها على رأس الحسين بن علي لتتخذه زوجا لها، واصلة بذلك بين وارث النبوة المحمدية وبين بقية سلطنة (أهورا الساسانية) [51].

٢- رواية محمد بن علي بن الحسين المعروف

---

(51) ((بصائر الدرجات)) (باب 11). المصدر بالفارسي، ونقل عنه المجلسي في ((البحار)) (9/46).

بالصدوق، (381 هـ):

قال: ((حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن محمد البيهقي، قال حدثنا محمد بن عيسى الصولي، قال حدثنا سهل بن القاسم النوشجاني، قال: قال لي الإمام الرضا رضي الله عنه بخراسان: إن بيننا وبينكم نسباً. قلت: وما هو أيها الأمير؟ قال: إن عبد الله بن عامر بن كريز لما افتتح خراسان أصاب ابنتين ليزدجرد بن شهريار ملك الأعاجم، فبعث بهما إلى عثمان بن عفان، فوهب إحديهما للحسن، والأخرى للحسين، فماتتا عندهما نفساوين، وكانت صاحبة الحسين نفست بعلي بن الحسين))[52].

3- رواية محمد بن محمد بن النعمان، المشهور بالمفيد! (ت 413هـ):

قال: ((وأمه شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى. ويقال: اسمها شهربانويه، وكان أمير المؤمنين رضي الله عنه ولى حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق، فبعث إليه ابنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى، فنحل ابنه الحسين شاه زنان منهما، فأولدها زين العابدين، ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر، فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر. فهما ابنا خالة))[53].

إن القارئ لهذه الروايات الثلاثة يكتشف وبكل سهولة حجم التناقض بينهما من حيث زمان ومكان أسر ابنة كسرى

---

(52) ((عيون الأخبار)) (128/2).

(53) كتاب ((الإرشاد)) للصدوق (2/ 138).

وزواجها بالحسين:

فالمصدر الأول يروي أن أسرها تم في المدائن في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، سنة 19 للهجرة.

والمصدر الثاني يروي أن أسرها تم في خراسان زمن الخليفة عثمان بن عفان.

أما المصدر الثالث فيقول أن الأسر جرى في الشرق زمن خلافة علي بن أبي طالب.

ويرى المؤرخ الإيراني (محمود رضا افتخار زاده) أن هذا الاختلاف في الروايات عمل متعمد من قبل الشعوبية، وهو يدل على مهارة الكـتاب الشعوبيين، وتخصصهم في صنع الروايات؛ فهم أرادوا بهذا الاختلاف تأكيد هذه الأسطورة لا نفيها، كما أنهم أرادوا من خلال خلق التناقض بين هذه الأسانيد والمتون والتلاعب بالزمان والمكان، إعطاء صفة التواتر لهذه الأسطورة، وإبعاد فكرة المؤامرة عن مخيلة الناس؛ حتى يتحقق لهم الهدف السياسي منها[54].

رأي بعض المستشرقين في هذه الأسطورة:

* يقول المستشرق (آلماني اشبولر): ((أعتقد أن زواج الحسين بن علي بن أبي طالب من أميرة ساسانية قصة مختلقة، وأن الشيعة سعوا إلى ربط الأئمة بآخر سلسلة ملكية إيرانية (الساسانية)، وأبدوا أهمية كبيرة لهذا الموضوع))[55].

---

(54) ((الشعوبية نهضة المقاومة الوطنية في إيران)).

(55) ((isilamischerseif.wiesbaden)) (ص 178). مترجم إلى

* أما المؤرخ الدنماركي الشهير (كريستن سن)، فقد ذكر في كتابه ((إيران في العهد الساساني)) (ص 362): أن مسألة زواج الحسين من (شهربانويه) مسألة غير مؤكدة.

الفارسية.

اختلاف الروايات في زمان ومكان وفاة زوجة الحسين المفترضة :

لقد سعى الشعوبيون لصنع رمز من ابنة كسرى؛ ليضفوا مصداقية على أسطورتهم.

فعلى الرغم من أن شيخهم (محمد بن علي بن حسين) المشهور عندهم بـ(بالصدوق) قال أنها ماتت في المدينة وهي نفسة بعلي بن الحسين، إلا أن الشعوبيين قاموا ببناء قبر ومزار لها على جبل في مدينة ((ري)) القريبة من طهران، يعرف باسم: جبل (بي بي شهربانو) ووضعوا على القبر حجرًا مرمريًّا، يعود تاريخه إلى القرن الرابع الهجري، بني على الطريقة المعمارية التي كانت سائدة في العهدين البويهي والسلجوقي، وتم تجديد البناء في العهدين الصفوي والقاجاري، وقد كتب على جدران وباب هذا المزار رواية الصفار التي تحكي قصتها المزعومة في مسجد المدينة مع الخليفة عمر وعلي رضي الله عنهما.

وقصة قبر (شهربانويه) هذه شبيهة بقصة قبر فيروز النهاوندي (أبو لؤلؤة المجوسي) قاتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فرغم تأكيد الروايات على أن أبا لؤلؤة قتل نفسه بعد طعنه الخليفة عمر أثناء صلاة الفجر في مسجد المدينة، إلا أن الشعوبيين قد شيدوا له قبرًا على الطريق الواصل بين مدينة قم وكاشان الإيرانيتين، وأصبح هذا القبر الوهمي مزارًا لهم؛ وذلك تكريمًا له على قتله خليفة رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) ، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

لقد في هذا الجزء اليسير من البحث الذي تقدم، قد تمكنا من كشف جانب من طريقة عمل الحركة الشعوبية ووليدتها الحركة الصفوية، التي سعت إلى تبني التشيع دينًا بديلًا عن الإسلام الذي أطفأ بنوره نيران آلهتهم المزيفة، وهدم إمبراطوريتهم التي بني مجدها على جماجم الشعوب المستضعفة.

الفصل الثاني

الشعوبية في مناهج الحوزة الدينية

من حق أي شعب أن يعتز بعظمائه، ويحيي ذكراهم، وهذا ربما يكون أقل ما يقدمه الشعب لأبنائه الذين ساهموا في صنع حضارته، وبنوا أمجاده، وعززوا مكانته بين الأمم والشعوب الأخرى.

ولا اعتراض على ذلك أبدًا، خصوصًا إذا ما كان الشخص المحتفى به قدم إنجازات تتلاءم مع الخلق والمبادئ التي يؤمن بها شعبه، أما إذا كان غير ذلك فمن المؤكد أنه لا يستحق الاحتفاء به، بل العكس، فمن الأولى أن يطمر ذكره؛ كي لا يكون عارًا على شعبه، إذا كان هذا الشعب متمسكًا فعلًا بالقيم الإنسانية والدينية، ويحترم الشعوب والأمم الأخرى، ويقدر خصوصياتها الثقافية والدينية.

إلا أن ما هو ملاحظ في إيران فهو غير ذلك تمامًا؛ فان الشعوبيين قد تجاوزوا هذه القاعدة، وضربوا بكل القيم الأخلاقية والقيم الإسلامية عرض الحائط؛ وذلك بتمسكهم بعنصريتهم المقيتة، وجاهليتهم الرعناء، التي كانت وما تزال معششة في رؤوسهم وصدورهم والتي ما انفكت تقطر حقدًا على الآخرين، ومنهم المسلمون العرب تحديدًا؛ حيث يجد المتتبع للشأن الإيراني أن طليعة هذا المجتمع هي الأكثر شعوبية من غيرها تجاه العرب؛ فالعنصرية تملؤ كتبهم الفكرية والأدبية، وحتى الدينية.

والغريب في أمر هؤلاء: أن ثقافة العداء التي يحملها كبار

مثقفيهم لهي أعظم بمرات من تلك التي يحملها جهالهم؛ فكلما تدرَّج أحدهم في منصب سياسي أو علمي أو ثقافي أو ديني، ازدادت معه روح العنصرية والحقد على كل ما هو عربي وإسلامي.

فما على من يريد التأكد من ذلك سوى أن يراجع إنجازات مشاهيرهم في مجال الشعر، والأدب، والفقه، والسياسة، والإعلام وغيرها، حتى يكتشف بنفسه مدى صحة هذا الأمر.

وهنا سوف نقدم جزءًا يسيرًا من تلك النماذج؛ علها تغني عن الكثير من الكلام في هذا الموضوع.

الحركة الشعوبية التي ما تزال تعمل جاهدة لإبقاء فكرها حيًّا في العقيدة الدينية والوطنية الإيرانية، تمكنت من تحقيق إنجاز جديد لها في هذا الشأن، حيث استطاعت مؤخرًا إقناع المؤسسة الدينية الإيرانية المسماة بـ(الحوزة العلمية) بتبني الملحمة الشعرية الشعوبية (الشاهنامة)؛ لإعطائها صبغة مقدسة مثلما سبق، واستطاعت أن تضفي صبغة إسلامية على عيد (النوروز) المجوسي؛ من خلال خلق عدة روايات منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى أهل بيته، تمجد (النوروز) وتعده من أفضل أيام الدنيا؛ وذلك تمهيدًا لضمه إلى مجموعة الكتب العقائدية التي تدرس في الحوزة العلمية.

وكمقدمة لهذه الخطوة، فقد قام المكتب الإعلامي للحوزة العلمية في مدينة قم مؤخرًا بطبع (كتاب الشاهنامة) على قرص ليزري (سي دي)، مدته ساعتين، تضمنته ترجمة

له باللغات الإنجليزية، والفرنسية، والعربية، مع نبذة تاريخية عن حياة الفردوسي، وصور عن قبره المشيد في مدينة مشهد في إقليم خراسان. وقد قامت بإنتاج هذا العمل الضخم ((مؤسسة نور)) التابعة للمكتب الإعلامي في الحوزة العلمية[56].

من المؤكد أن عملًا بهذه الضخامة، والذي صرفت له أموال طائلة اقتطعت من حقوق الفقراء التي تُجبَى باسم الخمس، وغيرها من المسميات الأخرى التي ابتدعتها الحوزة العلمية، لم يكن الهدف منه مجرد التعريف بكتاب أدبي مضى على تأليفه ألف عام، ويخالف بكل حرف من حروفه الدين الإسلامي والقيم الأخلاقية.

وهنا يأتي السؤال: هل (ديوان الشاهنامة) كتاب عقائدي أو فقهي مثلًا، لكي تقوم الحوزة الدينية الصفوية بصرف الملايين، أو ربما المليارات من التومانات على ترجمته، وتوزيعه بالمجان عن طريق المراكز الثقافية والسفارات الإيرانية المنتشرة في أكثر من مائة وعشرون بلدًا من بلدان العالم؟!

ترى ما هي الخدمة التي تقدمها الحوزة الدينية الإيرانية للإسلام ولسيرة أهل البيت سلام لله عليهم من خلال تبنيها ونشرها (لشاهنامة)، الذي ملؤه سب وشتم للعرب، الذين كانوا أصحاب الفضل بإيصال الرسالة الإسلامية إلى الأمة الفارسية؟

---

(56) صباح الموسوي: ((صحيفة إيلاف)) الأربعاء- 29 مارس- 2006.

ثم ما هي الخدمة التي يمكن أن تقدمها الحوزة العلمية، والتي يفترض أنها مؤسسة دينية, على طريق التقارب بين الثقافة الفارسية والعربية من خلال نشرها لهذا الديوان الشتائمي؟

أما الرئيس الإيراني الأسبق (محمد خاتمي)، ففي محاضرة له حول (جمالية اللغة الفارسية)، ألقاها في المركز الثقافي الإيراني في مدينة (دو شنبه) الطاجيكية، في أوائل مايو أيار عام 2003م- فـبعد الإشادة المستفيضة باللغة الفارسية، قال خاتمي: ((إن الفضل يعود لحكيم الشعراء وشاعر الحكماء أبي القاسم الفردوسي، الذي حفظ لنا اللغة الفارسية من الضياع بعد الفتح الإسلامي))!!

و(الفردوسي) هذا الذي وصفه خاتمي بالحكيم وتباها بإنجازه ((ملحمة الشاهنامة الأسطورية))، والتي تخلو من الشاعرية، قال عنه المؤرخ الإيراني الشهير والمنصف ((ناصر بور بيدار)) ما يلي: ((هناك أدلة جلية جدًّا تقول أنه كانت توجد مجموعة أشخاص لكتابة (الشاهنامة) انشغلت بهذا الأمر لمدة 40 سنة؛ فقد بدءوا في تدوين عهد الساسانيين، واستمر الأمر حتى عهد السلطان محمود الغزنوي (في القرن الرابع الهجري)، وقد أنشد الشاعر دقيقي قسماً من الشاهنامة، ونحن نعلم أن ستة أشخاص كانوا منشغلين بإنشاد الشاهنامة في نفس الفترة وفي منطقة محددة من خراسان، فهؤلاء هم أصحاب الشاهنامة، وليس الشاعر فردوسي الذي كان يتلقى راتبه من الشعوبيين؛ لينشد

شعرًا يلبي ميولهم، ونزعاتهم، وقصصهم، وآمالهم، وأهدافهم.

الفردوسي ليس إلا منشدًا للشاهنامة، وإن فكرتها تتعلق بمجموعة سياسية هي الشعوبية، وقد ذكرت كل هذه الوثائق نقلًا عن الفردوسي نفسه؛ فهو يؤكد في مقدمة كافة قصصه أنها لا تمثل رأيه، وأن فلانًا وفلانًا ذكر له القصة لينشدها شعرًا.

إن الفردوسي كان يرتزق من إنشاد الشعر، وعندما انتهي من إنشاد الشاهنامة تزامن ذلك مع سحق الحركة الشعوبية وقمعها؛ حيث لم يكن أحد ليدفع له أجرة كتابة الشاهنامة؛ لذلك فقد وجه السب والشتم للذين كلفوه بإنشاد الشاهنامة، لأنه أخذ يعاني من ضيق العيش، وهو يتحدث بصراحة عن النقود التي لم تدفع له إزاء كتابة الشاهنامة[57].

ولم يكن الرئيس السابق (محمود أحمدي نجاد) مستثنى من الحملة الشعوبية التي انبرت لتمجيد شاعر الشعوبية الفردوسي؛ فقد تحدث نجاد عام 2012م بمناسبة الحفل السنوي لإحياء ذكرى الفردوسي قائلًا: ((إن الحكيم أبا القاسم فردوسي جاء إلى الدنيا في السنوات الأولى من الفيبة الكبرى لإمام الزمان (المهدي المنتظر), وإن الشاعر الرودكي توفي بالتزامن مع ولادة الفردوسي، وباعتقادي أن هؤلاء الشعراء جنود أوكلت لهم مهمة تبيان حقيقة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وإن الفردوسي استطاع- بكل

---

(57) ناصر بوربيرار: لقاء صحيفة الزمان عدد 2002/2/13م

جمالية– رسم حقيقة الإسلام؛ فهذا الشاعر الكبير أحيا هوية الشعب الإيراني، وأوضح طريقه الذي هو طريق النبي والوصي وأهل البيت. ووصف ملحمة الشاهنامة بأنها رسالة توحيد، رسالة لله، وتفسير للقرآن)) [58].

أما مدير مكتب رئيس الجمهورية أحمدي نجاد (رحيم اسفنديار مشائي)، فقد وصف الشاعر الشعوبي أبا القاسم الفردوسي قائلًا: ((من بين هؤلاء العظماء الذين صنعوا التاريخ، وتركوا بصماتهم التي لا تمحى أبدًا، بل تصبح أكثر إشراقًا مع تقادم الزمن، وهو الشاعر الفردوسي الذي يستحق أن يخلد ذكره على شتى الأصعدة، ولا زالت المسافة بعيدة عن بلوغنا مرحلة اكتشاف كل الأبعاد الفكرية لفردوسي.

وصرح ((مشائي)) قائلًا: ((لقد لحق الظلم بحق فردوسي... إلا أنه لابد أيضًا من إدراك حقيقة أن الفترة التي عاشها الفردوسي من تاريخ إيران، كانت تفرض عليه أن لا يعلن عن عقيدته الحقيقية)) [59].

وهنا يأتي السؤال: هل (ديوان الشاهنامة) كتاب عقائدي أو فقهي– لكي تقوم الحوزة الدينية بصرف الملايين أو ربما المليارات من التومانات على ترجمته وتوزيعه بالمجان، عن طريق المراكز الثقافية والسفارات الإيرانية المنتشرة في أكثر من مائة وعشرين بلدًا من بلدان العالم؟!

---

(58) المصدر: ((وكالة أنباء إيسنا الإيرانية)) الأربعاء Wednesday, May 30, 2012

(59) ((موقع المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق)).

الفصل الثالث

الشعوبية والشعر

تشكل الآداب أحد أهم عناصر ثقافة الشعوب، وربما هي مصدرها الأول، والآداب بما فيها من الشعر، والقصة، والخطبة، والحكاية، والمثل، والكناية، جميعها مرآة صادقة تعكس الخلفيات النفسية والأخلاقية للشعوب، وتعتبر مقياسًا لتحضرها.

وعادة ما يكون الأدباء هم حلقة الوصل الأولى التي تربط بين الشعوب فكريًّا وثقافيًّا؛ وذلك لما يقدمونه من صور جمالية تخلو من الأمراض النفسية، وعقدة التمييز العنصري، والتفرقة الطائفية، وتركز على إظهار جوانب الجمالية والأحاسيس المرهفة في الإنسان والطبيعة.

إلا أن الحركة الشعوبية اتخذت من الآداب وسيلة لزرع بذور العنصرية والكراهية في نفوس أبناء الأمة الفارسية تجاه العرب والإسلام، وكان الشعر أحد أهم أفروع الآداب المستخدمة في هذا الإطار؛ لكونه الأكثر التصاقا في عقول القراء والمستمعين، والأسهل حفظًا في الذاكرة.

ورواة الأدب وواضعوا الشعر عرفوا خطورة الشعر كسلاح للدعاية والتوجيه؛ فنحلوا الشعر، وبنوا أجيالًا من الشعراء والكتَّاب، واتجهوا إلى الوضع، وإلى وضع أقوال على ألسنة بعض الصحابة والتابعين.

فنجد أن (عبد الكريم بن أبى العوجاء) – مثلًا– كان يفسد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بما يضع فيها، ويقرُّ

حين يقتله المنصور بأنه وضع أربعة آلاف حديث مكذوب مصنوع، فيقول الجاحظ معلقًا: ((واعلم أن هذه الأحاديث من أحاديث الفرس، وهم أصحاب نفخ وتزييف)).

ولقد قام أحد أمراء الحركة الشعوبية، وهو وزير السلطان محمود الغزنوي، (أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني)، بتكليف الشاعر الشعوبي (أبي القاسم الفردوسي) (ت 411 هـ) بإكمال ملحمة الشاهنامة (كتاب الملوك)، التي يؤجج فيها مشاعر العداء الفارسي ضد الإسلام والعرب، ويمجد فيها تاريخ ملوك فارس وحضارتها، ويشتم فيها العرب وحضارتهم الإسلامية، ويحط من شأنهم، وقد تعهد له بأن يعطيه وزن ما يكتبه ذهبًا.

وعلى هذا الأساس وضع الفردوسي ملحمته التي تخلو من الشاعرية، وأسماها: ((الشاهنامة))، مبنية على أسس شعوبية، وقصص خرافية تاريخية، والانتقاص من العرب وتحقيرهم، وتمجيد الفرس وملوكهم، حتى أن (لسان الدين ابن الخطيب الأندلسي) (ت 776هـ) سماه: (قرآن فارس)؛ وذلك لشدة تأثر الشعوبية بهذا الكتاب، والترويج له على نطاق واسع، حتى يكاد لا يخلو بيت من بيوت الإيرانيين من هذا الكتاب.

وتفاصيل قصة الفردوسي كما جاء في موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) نقلًا عن مصادر إيرانية متعددة، كما يلي: ((وتفصيل ذلك أن السامانيين اهتموا كثيرًا خلال حكمهم بإحياء التراث الفارسي قبل الإسلام؛ فانبرى أحد شعرائهم

(الدقيقي) لنظم ملحمة تخلد ذلك التراث، معتمدًا على ((شاهنامة)) أبي منصوري وغيره، لكنه قتل عام 368 هـ قبل أن يتمَّها. فبدأ الفردوسي بإتمامها بعد سنتين من وفاة (الدقيقي) اعتمادًا على ((شاهنامة)) أبي منصوري، وما تناقلته أفواه الناس في خراسان.

وأثناء فترة نظمها التي استغرقت ثلاثين عامًا، تولى الحكم السلطان محمود سبكتكين الغزنوي في عام 389 هـ، بعد أن أنهى حكم السامانيين، وبالرغم من أن وزيره الفارسي أبا العباس الإسفراييني شجع الفردوسي على المضي في التأليف، لكن من سوء حظ الفردوسي أنه عندما انتهى من جمع قصيدته كان هذا الوزير قد قتل، وتولى الوزارة الحسن الميمندي، الذي لم يكن متعاطفًا مع الفكر الشعوبي.

وقيل أن الفردوسي قد قرأ كتاب ((الشاهنامة)) على السلطان محمود لعدة أيام؛ وعندما فرغ منها قال له السلطان: ليس فيها شيء سوى حديث رستم، وفي جيشي ألف رجل كرستم! فقال له الفردوسي: أطال الله عمر السلطان، أنا لا أدري كم في جيشك مثل رستم، لكني أدري أن الله لم يخلق عبدًا له كرستم. فقال السلطان لوزيره: إنّ هذا الصعلوك قد رماني بالكذب. فلم يعطه جائزة عليها، فنقم الفردوسي عليه وأضاف أبياتًا في هجاء السلطان محمود:

يقينم كه شه مطبخي زاده		به جاي طلا نقره ام داده

وترجمتها:

(يقيني أن الملك ابن		وعدني ذهباً وأعطاني

أما الأبيات التالية فهي من نماذج الأشعار العدائية التي دونها الفردوسي ضد العرب في ملحمته ((الشاهنامة))، وهي من ضمن قصيدة طويلة كتبها في نعيه لهزيمة الملك يزجرد الثالث في معركة القادسية الأولى، فهو يحتقر فيها العرب ويلوم زمانه الذي سمح للعرب أكلة الضب وشربة حليب النياق من أن يمنوا انفسهم بحكم العالم! على حد قوله[60]:

(زشير شتر خوردن وسوسمار		عرب را بجايى رسيدست كار
كه تاج كيانى كند آرزو		تفو بر تو اي چرخ گردون تفو)

والفردوسي لم يكن الوحيد في هذا الباب، فهناك أشعار مشابهة ليعقوب بن ليث الصفار مؤسس الدولة الصفارية في بلخ وسجستان وخراسان (ت 265هـ)، يشتم فيها الخليفة الموفق بالله العباسي، قائلا:

أنا ابنُ الاكارمِ من نَسلِ		وحائزٌ إرث مُلوكِ العَجمِ
ومُحي الذي باد عزمـم		وكّـفى عَليه طُوال القِدَم
فَقُل لِـبني مـاشِم		هَلُموا إلى الخَلع قبل
فَعُودوا إلى أرضِكُم		لأكلِ الضب ورعي الغنَم

وقد أصبح التهكم والاستهزاء بالعرب وتحقيرهم سيرة الشعوبيين طوال القرون الماضية، ولم تقتصر وسائلهم في التعبير عن عدائهم للعرب على هذا الباب من الآداب فقط، بل إنهم سعوا في استخدام القصص والأساطير وسيلة للحط من

---

(60) ((فكر الشعوبية في مناهج المدرسة الصفوية)) لصباح الموسوي– جريدة إيلاف 5/3/2006.

منزلة العرب، وتأليب روح العداء في نفوس الأجيال الفارسية اللاحقة ضدهم.

وكانت الحملة الشعوبية ضد العرب انطلقت بعد ما أخذت الحضارة الإسلامية تزدهر وتنتشر بواسطة اللغة العربية، التي طفت على لغة الأقوام والشعوب الذين فتح الإسلام ديارهم؛ فالعربية إضافة إلى كونها لغة القرآن الكريم، فإنها أصبحت فيما بعد لغة الفقه والآداب وسائر العلوم والصناعات المختلفة، وكانت لغة مدارس نيسابور وبخارى وسمرقند وجنديسابور، في القرون الإسلامية الثلاثة الأولى، لغة عربية خالصة.

وقد وضع أساطين علوم الفقه والفلسفة والطب ومختلف الصناعات— من أبناء تلك الديار من أمثال: البيروني والرازي والبخاري وغيرهم— جميع مصنفاتهم باللغة العربية، وهذا ما أثار الشعوبيين وأغاظهم؛ حيث إنهم— كما يقول ابن حزم الأندلسي— كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكان العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا، تعاظم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة، وقد اتخذ الصراع بين العرب والشعوبية ألوانًا مختلفة.

وللوقوف في وجه انتشار اللغة العربية، وللتهوين من شأن العرب والانتقاص منهم، ترجم الشعوبيون كتبًا في مناقب العجم وافتخارهم، ورجم العرب بالمثالب وتحقيرهم،

ومن جملة ما وضعوه في هذا الشأن:

كتاب ((مثالب العرب)) لهشام بن الكلبي.

كما ألف أبو عبيدة معمر بن المثنى– وهو من يهود فارس– كتبًا كثيرة تعرض فيها للعرب، منها: كتاب ((لصوص العرب))، وكتاب ((أدعياء العرب)).

وألف علّان الشعوبي كتاب ((الميدان في مثالب العرب)).

وتماشيًا مع هذا التوجه، فقد ظهر شعراء وكتَّاب آخرون في عصور متتالية مواصلين النهج الشعوبي الذي اختطه أسلافهم.

لقد استمرت المدرسة الشعوبية– التي كان من أعمدتها: الفردوسي، والخيام، وأبو مسلم الخرساني، وبابك الخرمي، والرودكي، ويعقوب ليث الصفارين– تتناقل أفكارها بين أحفادهم؛ جيلًا بعد جيل، حتى وصلت إلى الصفويين الذين ألبسوها ثوبًا جديدًا، وهو (الطائفية).

لقد لبس الصفويون ثوب التشيع، وادَّعوا النسب العلوي، رغم أن المؤرخين الفرس أنفسهم يؤكدون أن إسماعيل الصفوي– مؤسس الدولة وعميد الأسرة الصفوية– ولد من أمٍّ أرمينية وأب أذري، وكان جده صفي الدين الأردبيلي شيخ طريقة صوفية تدعى (البكتاشية)، غير أن الروح الشعوبية دفعتهم إلى التلبس بلباس التشيع؛ وذلك لكي يضمنوا بقاء مدرستهم وانتشار أفكارها العنصرية.

وقد دأب الصفويون على شتم العرب؛ بحجة الثأر لأهل

البيت، وقد أمدوا وعاظهم وكتابهم بوضع الروايات والكتب التي ملؤها السب والطعن للخلفاء الراشدين والصحابة والقادة العرب، الذين كانت لهم القيادة في فتح بلاد فارس ونشر الإسلام في ربوعها.

ومن جملة ما وضعته المدرسة الصفوية كتاب ((بحار الأنوار)) لمؤلفه محمد باقر المجلسي، في مائة وعشرين مجلداً، دوّن فيه المجلسي ما طلبه منه السلطان الصفوي من الروايات والقصص التي تساعد على نشر فكر الشعوبية، المرتكز على نشر الفتن والتفرقة العنصرية والطائفية.

ومن الكتب الأخرى التي وضعت في هذا الشأن: كتاب ((مفاتيح الجنان)) لصاحبه عباس القمي، وهو أيضاً من الكتب ذات التوجه الشعوبي، المحمل بالسباب والطعن في الصحابة– رضي الله عنهم– خاصة، وفي العرب عامة؛ وذلك كله بحجة الدفاع عن أهل البيت.

إلا أن الشعوبية التي تجنت على سيدنا علي– رضي الله عنه– بزعمها التشيع له ولأهل البيت، فإن خير من كشف ضفينتها وأوضح حقيقتها هو شاعرها المعروف ((جعفر بن محمد الرودكي السمرقندي (329 هـ)))، الذي قالها بصراحة:

بشكست عمر پشت- مژبران عجم را		برباد فنا داد رگ وريشه جم را
اين عربده بر غصب خلافت ز على نيست		با آل عمر كينه قديم است عجم را

ومعناها: (إن هذا الصراع والعداوة ليس دفاعاً عن حق علي في الخلافة، لكنها البغضاء والعداوة القديمة لعمر الذي

كسر ظهر العجم وهدَّ عرشهم).

وهكذا بقيت المدرسة الصفوية الشعوبية على ديدنها؛ فكلما أرادت أن تكيل الشتم والسب للعرب لجأت إلى اتخاذ (التشيع) غطاء لنفث سمومها، وها هو شيخ السبَّابين وأحد كبار دهاقنة حوزة قم الدينية، صاحب كتاب ((سيرة سيد المرسلين))، يفرد أكثر من مائة صفحة في كتابه المذكور لسبِّ العرب، ويدَّعي قائلًا: ((إن ما حمله القرآن من تحذير ونذير، إنما هو موجه للعرب على وجه الخصوص، وأن الأقوام التي أنزل الله عليها الغضب وأبادها كانت أقوامًا عربية، وقد سميت بالعرب البائدة، والمعنيون بالجاهلية هم العرب تحديدًا))[61].

هذه هي المدرسة الشعوبية، وهذه سمومها الفكرية التي غرزتها في عقول أبناء شعبها، وغزت بها عقول وأفكار العديد من العرب وغيرهم تحت يافطة: التشيع لأهل البيت.

ولكن ترى هل يأتي اليوم الذي يصحو فيه العرب– الذين تبوتقوا بفكر وثقافة الشعوبية الصفوية– من غفلتهم، ويعودوا إلى العقيدة الإسلامية الأصيلة التي تشكل فكر وعقيدة وثقافة أهل بيت النبي وصحبه البررة عليهم السلام جميعًا؟

---

(61) كتاب ((سيرة سيد المرسلين)) لمحمد تقي مصباح يزدي.

الفصل الرابع

الشعوبية على لسان القيادة الإيرانية

يعتقد البعض أن وجود الحركة الشعوبية اقتصر على فترة زمنية معينة، هي فترة البرامكة والبويهيين والصفويين فقط، وأن الحديث عن الحركة الشعوبية ودورها الكبير في زرع بذور الفتن الطائفية والنعرة العنصرية المقيتة تاريخيًّا، أصبح كالطعن بالميت، ما دام أن هذه الحركة قد انقرضت، وانتهى وجودها، وأصبحت أثرًا بعد عين!

باعتقادنا أن هذا الرأي قد يكون صائبًا لو أن أصحابه تمكنوا من إثبات ما يشير إلى انتهاء الشعوبية وانتفاء أفكاره الهدامة، غير أن ما هو حاصل يثبت عكس ذلك تمامًا؛ فالحركة الشعوبية– وحسب ما أكدته المتابعة والدراسات الدقيقة لها– هي من حيث البنية التنظيمية أشبه ما تكون بالحركة الحلزونية؛ عندها من القدرة ما يمكّنها من تكييف نفسها مع الأوضاع المستجدة، والتقلقل في الأنظمة والحكومات، ونشر فكرها وخطابها عبر لسان أعلى المسئولين في البلاد، وعبر مختلف المراحل الزمنية. والمتتبع يلحظ ذلك بوضوح على لسان كبار قادة النظام الإيراني، الذين أصبحوا يتبارون بتصريحاتهم الشعوبية التي دائمًا تنتقص من الأمم والشعوب الأخرى.

فمن هذه التصريحات الشعوبية على ألسنة القادة الإيرانيين:

ما أدلى به مرشد الثورة الإيرانية (آية الله علي خامنئي)

أثناء استقباله يوم الاثنين 14/حزيران عام 2004م لمجموعة من رجال الدين، وعدد من الأكاديميين من أعضاء مؤسسة ((دائرة المعارف الإيرانية))؛ حيث صرح خامنئي قائلا: ((إن الأمة الإيرانية تصلح لأن تكون على هرم الثقافة العالمية)).
وأضاف خامنئي: ((أن الشعوب الإسلامية مديونة لجهود وأبحاث الإيرانيين في المجالات الثقافية))[62].

طبيعي من حق أي شخص ومهما كانت منزلته أن يعتز بقومه وأن يفخر بالإنجازات التي تقدمها أمته، سواء على الصعد الثقافية أو الحضارية أو غيرها، فهذا أمر مشروع، ولا يوجد عليه اختلاف.

ولكن الأمر الذي كان وما زال موضع خلاف هو: أن يفضل هذا الشخص قومه على سائر الأقوام، ويدعي لقومه ما ليس فيهم، فعند ذاك يصبح الأمر عنصرية، وهذا أمر محارب شرعًا وقانونًا، ومرفوض إنسانيًّا وأخلاقيًّا، حتى وإن صدر من أجهل الناس وأقلهم منزلة في المجتمع، فما بالك لو أنه صدر عن شخصية دينية وزعيم دولة، كما هو حال مرشد الثورة الإيرانية (علي خامنئي)، الذي تجاوز كل القيم الأخلاقية والذوق السياسي، حين راح يفضل قومه على سائر الأمم، وقد تجاوز مفهوم الأمة الإسلامية الواحدة حينما وصف قومه بأنهم أصحاب فضل على سائر المسلمين[63].

---

(62) ((صحيفة جمهوري إسلامي)) 15/6/2004م.

(63)صباح الموسوي- ((صحيفة إيلاف السبت 1 أبريل 2006))

بكل تأكيد، لا يمكن لأي إنسان منصف أن ينكر الواقع أو يزيف التاريخ؛ فالأمة الإيرانية التي ينتسب أليها ((السيد خامنئي)) كانت ذات يوم صاحبة إمبراطورية عظمى، وكان لها حضارتها وثقافتها البارزة بين سائر حضارات عصرها.

علماً بأن الحضارة الفارسية قد تأسست من خلال ما التقطته من باقي الحضارات المجاورة، وهذا أمر طبيعي أيضاً، كون الشعوب والأمم المتجاورة تتأثر بثقافة بعضها البعض؛ ولهذا فقد أخذ الفرس من حضارة الرومان، ومن حضارات وادي الرافدين، ومن حضارة الفراعنة وغيرها.

وهذا من إيجابيات الأمم الحية التي تؤثر وتتأثر بغيرها، والأمة التي لا تؤثر ولا تتأثر بمحيطها فهي أمة جامدة وفاشلة، ومن الطبيعي أن الأمة الفارسية لم تكن أمة جامدة؛ فقد تفاعلت مع محيطها وأخذت منه وأعطته، وهذه سنة كونية.

وحين فتح المسلمون بلاد فارس أصبح لأهل فارس حضارة جديدة، هي الحضارة الإسلامية، التي لا ينكر ((السيد خامنئي)) أنها أفضل وأهم من حضارة أجداده (الحضارة المجوسية)، الذين أخرجهم العرب المسلمون من الكفر إلى الأيمان، ومن ظالمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وكان هذا أول فضل للمسلمين العرب على الإيرانيين.

هذا إذا قبلنا– حسب منطق الشعوبية– أن هناك تفاضلاً بين المسلمين على أسس عرقية. فالإيرانيون الذين اعتنقوا الإسلام أصبحوا جزءاً من الأمة الإسلامية، وأصبحوا مكلفين

شرعًا أن يدافعوا عن هذه الأمة، ويعطوا لها، ويأخذوا منها، فهي أمة ودولة واحدة؛ لا تمييز بين أبنائها، وما يقدمه أيٌّ من أبنائها القاطنين في مشرقها يستفيد منه الذين هم في مغربها، وكذلك العكس، وقد أصبح علماء الأمة الإسلامية يتبارون في نتاجهم على جميع الأصعدة العلمية والثقافية، كلٌّ في اختصاصه، مستعينين بعلوم وتجارب الأمم الأخرى، وهذه ميزة لهم، فهي دلالة على سعة معرفتهم وإطلاعهم على علوم وثقافات الآخرين.

فهذا ملَّا صدر الشيرازي– مثلًا– الذي يُعَدّ من نوابغ الفرس في الفلسفة، لا ينكر أنه استعان بأفلاطون وغيره من فلاسفة اليونان.

كما أن ابن سينا استفاد في علوم الطب من آثار الطبيب اليوناني ((أبقراط))، وغيره من علماء الطب من العرب وغير العرب ممن سبقوه.

ثم قبل ذلك نسأل: أين تعلم الإيرانيون أصل القراءة والكتابة؟ أليس من حضارة وادي الرافدين؟

إذن فما هي أفضال الإيرانيين على الشعوب الإسلامية الأخرى؟

ثم ألم يُفْتِ الخميني برفض احتكار الملكية الفكرية الخاصة لأي منتج فكري أو علمي؟

وقد ألفت الحكومة الإيرانية قانون حق الملكية الفكرية الخاصة؛ بناء على هذه الفتوى، فكيف يعود (السيد خامنئي) ويدعي أن للإيرانيين أفضالًا على المسلمين؟!

ثم أليس الإيرانيون هم من هذه الأمة؟

وأما قوله: أن الأمة الإيرانية تصلح لتكون على هرم الثقافة العالمية! فهذا أمر مبالغ فيه، فهل يقصد خامنئي بتلك الثقافة– التي يريدها أن تكون على قمة هرم الثقافة العالمية– هي ثقافة الحشاشين والمدمنين الذين يملئون شوارع وساحات المدن الإيرانية؟! حيث إن آخر إحصائية رسمية إيرانية تؤكد أن عدد المدمنين المسجلين رسميًّا تجاوز الثلاثة ملايين مدمن، وأن آلاف الأطنان من مختلف أنواع المخدرات تستهلك يوميًّا في العاصمة طهران وحدها.

أما جرائم القتل والجرائم الاجتماعية الأخرى، فقد تضاعفت معدلاتها عشرات المرات عما كانت عليه في عهد النظام البهلوي، وأصبحت إيران تتصدر قائمة أسوأ ثلاث دول على مستوى العالم في التجارة بالبشر، وتحتل المرتبة الثانية عالميًّا من حيث عدد الإعدامات التي تنفذها السلطات الإيرانية سنويًّا، وذلك وفق تقارير وشهادات دولية.

إذن أين هي الثقافة الإيرانية التي يتبناها خامنئي، والتي يريدها أن تتربع على عرش الثقافة العالمية؟!

علمًا بأن النبرة الشعوبية المتطرفة لم تتوقف عند تصريحات خامنئي وحسب، بل إنها تمتد إلى الكثير من القادة الإيرانيين؛ فالرئيس الأسبق (محمد خاتمي) كانت له أيام رئاسته تصريحات شعوبية مقيتة، كان من بينها: ما أدلى به أثناء اجتماعه بالجالية الإيرانية في أمريكا، خلال حضوره احتفالات الألفية الثانية التي أقيمت في نيويورك بدعوة من

الأمم المتحدة، حيث صرح قائلًا: ((نفخر نحن الإيرانيين بأننا قبلنا الإسلام ورفضنا العربية)).

وهذا ما يؤدي إلى طرح العديد من التساؤلات، خصوصًا وأن رجل دين ودولة مثقف كخاتمي لا يمكن أن تكون هذه الكلمة بالنسبة له مجرد زلة لسان، وإن كانت، فهي مصداق للمثل القائل: ما يضمره القلب تظهره زلات اللسان.

أما الرئيس ((أحمدي نجاد))، فهو الآخر لم يكن خارج عربة الشعوبية التي برزت أدبياتها بقوة على لسان القادة الإيرانيين في الأعوام الأخيرة، فتحول خطابه من خطاب (مهدوي) ديني الصبغة، إلى خطاب قومي إيراني، يوظف الحضارة الفارسية في فترة ما قبل الإسلام.

وقد فتحت إمكانية خلافة مرشده الفكري ومدير مكتبه ((رحيم اسنفديار مشائي)) له في الرئاسة، فتحت الحديث عن مسألة إضفاء الطابع الإيراني على الجمهورية الإسلامية، حينما تم جلب «إسطوانة قورش» الشهيرة، التي نقش عليها مؤسس الإمبراطورية الإيرانية الأولى «ميثاقه لحقوق الإنسان»، إلى طهران على سبيل الإعارة من المتحف البريطاني في لندن، رحب أحمدي نجاد وحرس الشرف « بالإسطوانة». وقد وصف الرئيس «قورش» بأنه « في مرتبة الأنبياء»[64].

تحدث مشائي فيما بعد عن «المدرسة الإيرانية»، زاعمًا أن إيران نقلت الدين الإسلامي من مجرد عقيدة مجردة، إلى

---

(64) راجع: وكالة أنباء فارس- 4/ 8/ 2010

حضارة، فيشير حسب قوله إلى أن «المدرسة الإيرانية» قدمت بديلًا آخر للحضارة الغربية.

ومن أهم أفكاره: تبنيه لفكرة الإسلام القومي الإيراني؛ فالدين بالنسبة له يختلف من أرض لأخرى، وإن عَرّف الإيراني بنفسه كإيراني، سيكون الأمر أسهل عليه ليُعرف بهويته[65].

وكان (اسفنديار رحيم مشائي) الذي عين عام 2013م من قبل الرئيس الإيراني (أحمدي نجاد) أمينًا عامًّا لمنظمة دول عدم الانحياز، قد صرَّح خلال زيارته لطاجيكستان في كانون الأول سنة 2012م، قائلًا: إنني أستطيع أن أثبت لكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إيرانيًّا (فارسيا) وليس عربيًّا. معتبرًا أن من عرف تاريخ إيران، عرف دينه، وأن ((من قَبِل العلم الإيراني وعظَّمه، فإنه يعظِّم الله)) [66].

وبعد الحملة الإعلامية التي قامت بها مواقع عربية ضد تصريحاته، عاد ((مشائي)) ونفى هذا الأمر، وقال معدِّلًا تصريحه: ((إنني كنت أقصد النبي إبراهيم عليه السلام)) [67]!

ترى، أليس هذه التصريحات وأمثالها دليل قاطع على أن الشعوبية ما تزال حية، وتعمل بقوة في نظام الجمهورية الإيرانية.

---

(65) ((صراع الدين والقومية في إيران))- لأمير طاهري، صحيفة الشرق الأوسط - 22مارس 2013- العدد 12533.

(66) المصدر: ((صحيفة الوطن السعودية)) - 2010/12/24.

(67) المصدر: ((وكالة أنباء إيسنا الإيرانية)) الأربعاء 30 مايو 2012.

الخاتمة:
لقد سبق ان تصدى الكثيرين من عمالقة الادب والسياسة والفقه من ابناء الامة الاسلامية‘ للحركة الشعوبية وكشفوا خبث اهدافها وردوا على اراءها وبينوا خطورتها على الامة .
و اغلبه ذلك الجهد كان في القرون المتقدمة من تاريخ هذه الأمة ‘ ولكن بعد ان عدنا شعوبا وقبائل في طريقة تفكيرنا وعملنا ‘ اصبحت الشعوبية اشد شراسة ‘و اكثر تطاولا على مقدساتنا وتراثنا‘وعلى وجودنا كأمة ‘عن ما مضى ‘بعد ان غاب من يتصدى لها بشكل الذي كان عليه في السابق .
ومما ليس بخفي على الواعون من ابناء هذه الامة ان " الشعوبية " اليوم لا تختلف عن ما كانت عليه في الماضي من حيث الهدف و الاسلوب التآمري ‘ غير ان وجه الاختلاف الحاصل بين وحاضرها وماضيها ‘ يكمن في اسلوب خطاب التظليل الذي تمارسه والذي تمكنت من خلاله اغفال جماعات و فئات من هذه الأمة و شراء ذمم البعض الاخر منهم . فقسم من هؤلاء ببساطته والقسم الاخر بخبثه ساعد على خدمة الشعوبية في ترويج شعاراتها الخداعة وتلميع صورتها من اجل تمكنها من تحقيق مآربها التي عجزت عن تحقيقها في الماضي.
فمن هنا جاء هذا الكتيّب لتبيان بعض ما خفي عن ابناء امتنا من اراء وأعمال الشعوبية الجديدة المتمثلة اليوم في مناهج الحوزة الدينية و ادبيات قادة نظام الجمهورية الايرانية ‘وتحذريهم من المخاطر التي تشكلها هذه الحركة التي لا تقل عن المخاطر الاخرى التي تحيط بحاضر ومستقبل هذه الامة.

و بذلك نرجو الأجر من الله ونتمنى ان نكون قد وفقنا لما كنا نصبوا اليه والله من وراء القصد.

ملاحق

أحد قصائد الفردوس التي يسب فيها العرب

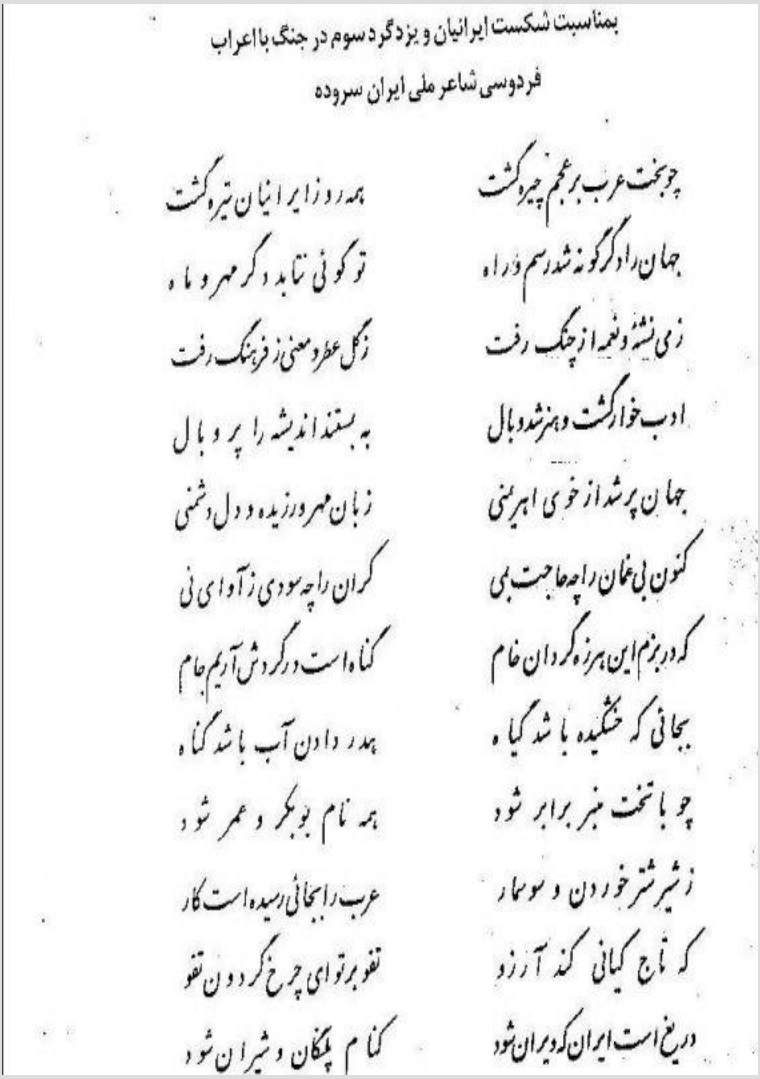

بمناسبت شکست ایرانیان و یزدگرد سوم در جنگ با اعراب

فردوسی شاعر ملی ایران سروده

چو بخت عرب بر عجم چیره گشت — همه رود زایرانیان تیره گشت

جهان را دگرگونه شد رسم و راه — تو گوئی نتابد دگر مهر و ماه

زمی نشئه و نغمه از چنگ رفت — ز گل عطر و معنی ز فرهنگ رفت

ادب خوار گشت و هنر شد وبال — به بستند اندیشه را پر و بال

جهان پر شد از خوی اهریمنی — زبان مهر ورزیده و دل دشمنی

کنون بی غمان را چه حاجت بمی — کران را چه سودی ز آوای نی

که در بزم این هرزه گردان خام — گناه است در گردش آریم جام

بجائی که خشکیده باشد گیاه — هدر دادن آب باشد گناه

چو با تخت منبر برابر شود — همه نام بوبکر و عمر شود

ز شیر شتر خوردن و سوسمار — عرب را بجائی رسیده است کار

که تاج کیانی کند آرزو — تفو بر تو ای چرخ گردون تفو

دریغ است ایران که ویران شود — کنام پلنگان و شیران شود

صحيفة كارون الإيرانية تنقل كلمة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد في الاحتفال بذكرى الفردوسي

طابع بريدي يحمل رسم نصير الطوسي مناصر المغول في غزو بغداد

من شعارات الشعوبية

بهمن جازوية

الاسم الفارسي لعبد الرحمن بن ملجم قاتل الخليفة علي بن ابي طاب رضي الله عنه

فهرست بعض أهم كتب الشعوبية القديمة

١- ((الميدان في المثالب)) لعلّان بن حسن شعوبى. ذكره ابن النديم في ((الفهرست))، وبروكلمان وأسماه: ((حلبة المثالب))، وقد وصف ابن النديم الكتاب المذكور بقوله: ((الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها))[68].

وقال عنه ياقوت الحموي: ((إنه تناول القبائل العربية قبيلة قبيلة، وابتدأ ببني هاشم)).

ولعلّان الشعوبي كتاب آخر اسمه: ((المنافرة))[69].

٢- ((مثالب العرب)) لهشام بن محمد بن سائب الكلبي، وكان أحد رواة الأخبار.

ذكره ابن النديم في ((الفهرست))، ونقله عنه ابن حجر في ((الإصابة)).

وألف محمد بهجة الأثري كتاب ((الرد على الشعوبية ونقض مثالب العرب لابن الكلبي))، ولكنه لم يطبع[70].

٣- ((فضل العجم على العرب)) لإسحاق بن سلمة،

---

(68) ((تاريخ الأدب العربي)) لبروكلمان (3/ 35).

(69) ((معجم الأدباء)) ط. دار الفكر (12/ 191).

(70) ((شعراء العراق المعاصرون)) (1/ 102).

ذكره ابن النديم في ((الفهرست))[71].

4- ((انتصاف العجم من العرب))، والاسم الثاني لهذا الكاتب: ((كتاب التسوية)). مؤلفه: سعيد بن حميد البختكان. قيل عنه: كان من أولاد ملوك فارس. وذكر أنه كان (كاتبًا وشاعرًا مترسلًا، وعذب الألفاظ، مقدَّم في صناعته)[72].

5- ((فضل العرب على العجم)) لأحمد بن أبي طاهر طيفور، كان شاعرًا وأديبًا من أهل خراسان[73].

6- ((التوشيح والترشيح في بعض التسوية بين الشعوبية)) لمحمد بن عبد الله بن غالب الأصفهاني, المعروف بـ ((باح))، ذكره ابن النديم، وقال عنه: أديب وكاتب[74].

7- كتاب ((المثالب)) لأبي عبيدة معمر بن المثنى، كان أديبًا ولغويًّا بارعًا، ووصف بأنه عارف بأخبار العرب والأنساب. وقيل أنه كان من الخوارج. ولما مات لم يخرج أحد لتشييع جنازته.

وقال عنه ابن النديم: ((وعمل كتاب المثالب الذي كان يطعن فيه على بعض أسباب (أصحاب) النبي)).

وكانت له كتب أخرى، منها: كتاب ((المنافرات))،

---

(71) ((الفهرست)) (ص 142).
(72) ((همان)) (ص 137).
(73) ((همان)) (ص 163، 164).
(74) ((الفهرست)) (ص151).

وكتاب ((مثالب باهلة)) ، وكتاب ((أدعياء العرب)) ، وكتاب ((لصوص العرب)) . وله كتاب في مدح الفرس بعنوان: ((فضائل الفرس)) . وعن كتابه ((مثال العرب)) قال المسعودي: ((يذكر فيه أنساب العرب وفسادها، ويرميهم بما ليس فى السياسة ذكره، ولا يحسن وصفه)) .

وقد جاءت مقتطفات من كتابه ((المثالب)) في ((معجم الأدباء)) (19/ 156) , و((خزانة الأدب)) (2/ 519, 222)) ، و((الأمالي)) لأبي علي القالي (ج 3) [75] .

8- كتاب ((المثالب)) لهيثم بن عدي (ت 207هـ) . كان من مؤرخي النصف الثاني من القرن الثاني، وله كتب عدة في تاريخ العرب، كما أن له كتبًا شعوبية عدة، منها: كتاب ((المثالب)) , وكتاب ((المثالب الصغير)) , وكتاب ((المثالب الكبير)) , وكتاب ((مثالب ربيعة)) .

وكتاب بعنوان: ((كتاب من تزوّج من الموالي في العرب)) .و قال عنه ابن النديم: ((وكان يُطعَن في نسبه)) [76] .

9- كتاب ((المثالب)) لأحمد بن حمد جهمي. قيل: إنه ذكر العباس بن عبد المطلب بسوء، وبلغ ذلك الخليفة

---

(75) المصادر: ((همان)) (ص 59)، ((معجم الأدباء)) (19/ 162)، ((معجم الأدباء)) (19/ 162)، ((الفهرست)) لابن النديم (ص 59) ، ((مروج الذهب)) (4/ 36).

(76) ((الفهرست)) (ص 112).

المتوكل، فأمر بجلده مائة جلدة[77].

10- ((مثالب العرب)) ليونس بن هارون. قال الجاحظ: ((وقد كان كتب كتاباً لملك الروم فى مثالب العرب بزعمه)) [78].

11- ((الموازنة بين العربي والعجمي)) لحمزة بن الحسن الأصفهاني. قيل: إنه قدم هذا الكتاب باسم عضد الدولة الديلمي[79].

---

(77) ((الفهرست)) (ص 124).

(78) ((الحيوان)) (4/ 448).

(79) ((إنباء الرواة)) (1/ 335).